مطبوعات مجلة العصور لنشر المعرفة والآداب

الضحية

تأليف الشاعر الإلهي الكبير

رابندرانات طاغور

ترجمها إلى العربية

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

١٩٢٨

دار العصور للطبع والنشر

شارع محمد علي البكري رقم ٧ بالقاهرة

تاريخ الفكر العربي

في نشوئه وتطوره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

ومقالات أخرى

جابر بن حيان — اسلوب الفكر العلمي — أبو العلاء المعري :

معتقده في الدين والخالق — القصد والغاية في الطبيعة

وما بعد الطبيعة — أحمد شوقي — مهيار الديلمي

بشار بن برد

تأليف

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

الثمن ١٥٠ مليما داخل القطر المصري يضاف إليها أجرة البريد

الضحية

ورِوايات وابحاث أخرى

الملك والملكة ـ علاقة الانسان بالكون ـ الناسك ـ

ادراك الروح ـ ماليني

تأليف الشاعر الآلهي الكبير

رابندرانات طاغور

ترجمها الى العربية

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

١٩٢٨

الاهداء

الى الابطال

الذين يؤيدون السلام العام ، ويدفعون عن الشعوب الضعيفة اعتداء الدول العظمى في عصر الحرية

مقدمة المترجم

رابندرانات طاغور ، الشاعر الهندى العظيم ، صورة حقيقية من قدما الهنود ، الذين عاشوا بين الحراج والغابات غارقين فى تأملاتهم الدينية الممسوسة بأثر الفلسفة التأملية . فيه من روحهم مالا تجد في غيره من عظماء الهنود الذين يعيشون في العصر الحاضر . وليس لطاغور فى عالم الشعر من نظير ينزع في السياسة نزعته من التأمل الا المهاتما الكبير غاندى، مثال الوطنية الصادقة وعنوان الانسانية الطامحة الى السلام والى الحرية والى العدل ، فى بلاد ما عرفت الحرية ولا ذاقت طعم العدل ولا عرفت السلام منذ قرنين ونيف من الزمان.

وليس من قصدنا فى هذه العجالة أن نترجم عن حياة طاغور ولا أن نوازن بينه و بين غاندى . فان الترجمة عن حياة الشاعر الخالد وذكر يوم مولده ونشأته أمر لا يتفق أن نقتصر عليه أمام العظمة الباقية التى يمثلها طاغور . كما أن الموازنة بينه و بين مواطنه العظيم أمراً قد يجر الى المفاضلة بين شخصين كل منهما يمتاز بناحية من العظمة لا تنزل عن نظيرتها قدراً ومكانة . لهذا نقتصر في هذه العجالة على أن نصور طاغور في الصورة التى نستخلصها من مجمل ما ننشر له فى هـذا الكتاب. على ان الصورة التى ننقلها اليك اليوم عن طاغور لصورة. مقصورة على ناحية واحدة من نواحي نفسه الفائضة بالمعانى الشعرية الخالدة والمبادىء القويمة التى يسعى جهده لان تصبح من المبادىء الأولية التى يقوم عليها الاجتماع الانسانى .

لا يؤمن طاغور بالنظريات التى تقوم عليها المدنية الغربية لأنه يرى أنها مدنية قامت على فكرة القوة المادية وحدها واستخدامها فى كل ماتتطلب الحياة من حاجات . ومعتقده الثابت ، أن استخدام القوة المادية واتخاذها العمدة الوحيدة فى الحياة . يظلم الروح ويقوى النفس . وعنده أن النفس هي مجموعة الشهوات التى

تقوم على بناء الجسم المادى . وأن الروح هى المبدأ المفارق الذى يلازم المادة مادامت حية ، فاذا ماتت تركها ليرجع الى عالمه الأعلى .

هذا من الناحية الاجتماعية . أما من الناحية الفلسفية فهو يعتقد بأن العالم كل غير منفصل الاجزاء . وبهذا يخالف كثيراً من مبادىء الاديان التى قامت فى غربى آسيا .

يعتقد بأن الله والعالم وحدة لا يمكن أن تنفصل أجزاؤها وأن الله كائن في المادة والمادة كائنة فى الله وأنه سر الوجود وأنه القوة التى تدبر المادة وتحفظ عليها نظامها وألفتها . فهو لا يعتقد بأن الله شخصية أو ذات منفصلة عن المادة كما اعتقد كثير من أهل الاديان الكتابية . وعندى أن هذا المعتقد يزيح كثيراً من الصعاب التى يلاقيها أهل الأديان الذين يعتقدون بانفصال الله عن المادة لدى بحثهم فى علاقة الله بالكون وفى علاقة الانسان بالله

وكما أن المادة عنده عبارة عن كل أكبر هو الله والعالم ، فالانسان عنده كل أصغر ، هو الروح والجسم . وان الموت انما هو عبارة عن انفصال الروح عن الجسم فيلتحق كل منهما بعالمه الذى هو تابع له أصلا

وليس صوت طاغور باول صوت ارتفع من ناحية الهند ليدعو الناس الى الاخاء العام . فان الفكرة فى الهند قديمة والذين عملوا على نشرها كثيرون . غير أن فضل طاغور ينحصر في أن الناس في عصر المادة والمادية قد تقبلوا منه الفكرة بما لم يتقبلوها به من غيره من الداعين اليها خلال كل العصور الاولى . ولا تعرف لهذه الظاهرة من سبب . ولعل طاغور أثبت الناس عقيدة فيما يقوم على فكرة الآخاء من السعادة والهناء الذى يعتبرها الاساس الذى يجب أن يقوم عليه نظام الاجتماع الانسانى

وهو فوق ذلك من أكبر الداعين الى السلام العام والى ترك الحروب

التى تمتص دم الانسانية الزكي وتضحيه على مذبح الاغراض والشهوات . ولفكرته فى السلام العام أ كبر العلاقة بفكرته فى الاخاء الانسانى . على أن فكرته في السلام وفى الاخاء لاتذهب في أصول الخيال مذهب زعماء الثورة الفرنسوية . فهو يجيز المنافسة والتنازع بين الاحياء باعتبارهما من المبادىء الاولية التى تقوم عليها الحياة. غير أنه اذا اعتقد بأن المنافسة من المبادىء الاولية التي تقتضيها الحياة في العالم الحيوانى برمته ، فانه ينكر على الانسان أن يتجرد من مبادىء الشفقة والرحمة والعدل والعطف لينزل الى أفق الحيوان الاعجم اذا هو اضطر الى الخضوع لما تقتضيه مطاليب الحياة من التنازع على البقاء . فهو لا يريد أن يدعو الى قواعد تأباها الطبيعة .ولكنه مع هذا يريد أن يكون لمبادىء الانسانية العليا السلطة الحكاية على تصريف الحالات التى تقوم فى أفق الاجتماع الانسانى

وليس طاغور من المؤمنين بصحة الاحكام التى تصدر عن الاجماع . فقد انحى على هذه الفكرة بالنقد الشديد في الكثير من المواضع التى احتاج فيها الى نصر الحقيقة على الاوهام . وعندى أن الاجماع كان على باطل خلال كل العصور وان كان له بعض المبررات النظرية التى كان من الممكن ان تقف عند حد ما ، لو لم يحاول الزعماء في كل أدوار التاريخ أن يتخذوا من الاجماع ذريعة للاستبداد بمن يخالفونهم فى الرأى والمعتقد .

كذلك تجد أن طاغور قد ظل أمينا للمبادىء التى قامت عليها أديان آبائه وأجداده .على أنه كان أشد اقتناعاً بالحرية الدينية منه بكل المبادىء الأخرى . فهو يرى أن الحرية الدينية وترك الناس احرارا فيما يعتقدون وفيما يرون من رأى فى الدين اساس الفضائل التى يجب ان يظل الانسان عاكفاً عليها ليصل الى لب الحقيقة وليعرف الحق.

نتساءل بعد هذا : هل لطاغور فلسفة ؟ أما اذا اعتبرنا الفلسفة على مقتضي

التحديد الحديث الذى وضعه لها ديوى اوكننجهام فى أمريكا أو التعريف الذى عرفها به الاستاذ مكنزى في انجلترا أوويندلبند فى ألمانيا ، فمن الصعب أن نقول بأن لطاغور فلسفة تنطبق مراميها على الاصول التى وضعها هؤلاء الكتاب لما أدركوا من معنى الفلسفة

حقيقة أن طاغور قد رمى فيما كتب وفيما يكتب حتى اليوم الى وضع قاعدة تجرى عليها الحياة ، متفقاً في هذا مع كثير ممن كتب من المحدثين فى معنى الفلسفة . غير أن الفرق بين ما يرمى اليه طاغور ومايرمى اليه المحدثون فى أوروبا وأمريكا كالفرق بين الايجاب و بين السلب ولو فى الظاهر على الاقل . على أننا اذا أجزنا لا نفسنا أن نذهب فى فلسفة طاغور هدا المذهب ، واذا أجزنا أن نقول المحدثين فى امريكا وأوروبا لدى مقارنتهم بطاغور ، فانما نجيزه لأ نفسناولدينا كثير من المبررات . على أن أهم هذه المبررات فى نظرى هو أن الفلسفة التى يقوم عليها مذهب طاغور في الحياة قد استحدثت من كتب الهند القديمة ثم فسر بما يلائم نزعات العصر الحاضر . فليس طاغور عندى من ناحية الفلسفة الا مفسر لحقيقة المذاهب الهندية القديمة على قاعدة جديدةاضطرته اليها الظروف التى أحاطت به فى القرن العشرين

اذن نقول بان لطاغور فلسفة في الحياة ، مقصورة على تفسير مذاهب الهند تفسيرا جديدا . وعندى انه فى الفلسفة الهندية نظير افلوطين في الفلسفة اليونانية القائمة على مذهب أفلاطون ، وهنا يصح لنا أن نقول بأن مذهب طاغور في تفسير المذاهب الهندية القديمة يصح أن يدعى « الهندية الجديدة » كما يقال ن تفسير أفلوطين الاسكندرى للفلسفة اليونانية « الافلاطونية الجديدة » . على أن البحث فى أثر هذه التفسيرات من الوجهة العملية بحث ضائع وجهد غير منتج .

لهذا نترك الكلام في نتائج فلسفة طاغور من الوجهة العملية الى الكلام بايجاز في عناصرها التي تقوم عليها .

اعتقد كثير من الباحثين بأن فلسفة الهند عبارة عن تجريد صرف وسلب مطلق لاأثر للعمليات فيه . والحقيقة أن فلسفة تقوم عناصرها على التأمل وعلى أنكار الجسم دون الروح ، لفلسفة أقل مايقال فيها إنها تجريد صرف وسلب مطلق . غير أن طاغور ينكر هذا . هو بالطبيعة لاينكر التأمل كقاعدة أساسية من قواعد فلسفة الهند ، بل ينكر أن التأمل وانكار الجسم ليس له نتائج عملية . فيعتبر أن تصفية الروح بطول التأمل والاكباب على التفكير وقتل شهوات الجسم والنفس لاحياء الروح ولتبلغ الى النهاية العليا وهي الاندماج في الوحدة التي يقوم عليها نظام الوجود ، هي في ذاتها نتيجة عملية ، بل يعتقد بأنها أكبر النتائج التي يجب أن تترتب على الاكباب على الدرس وطول التأمل . بل هو موقن بأن هذه النتيجة هي التي يجب أن تسعى لها الانسانية برمتها .

لهذا يدعو طاغور لمذهبه بحرارة اليقين وحماسة الاعتقاد الثابت . وهو في دعوته لايرمى الى سعادة الفرد وحده في الدنيا والآخرة . بل يرمى الى سعادة الجماعات ، متابعة ليقينه بأن مذهبه في تفسير فلسفة الهند انما يؤدى الى الاخاء والى المحبة المتبادلة بين الافراد والشعوب .

ولا جرم أن طاغور اذا استطاع أن ينشر مذهبه هذا بين الناس كان له أكبر النتائج العملية في وضع النظام الاجتماعي على قواعد أكثر صلة بالمثاليات العليا . غير أن غالب الظن أن الصيحة التي يبعث بها طاغور انما تضيع في تيه قصي من جلبة العصر الانتاجي الذي نعيش فيه وتفنى أصداؤها مهما كانت قوية بين قرقعة الآلات الميكانيكية التي تقوم عليها الحضارة الحديثة .

على أن هذا لاينهض دليلا على أن الحضارة الحديثة تقوم اليوم على أصول أرقى من الاصول التي ينشدها طاغور . فان التحقيق العملي لمبدأ أو لقاعدة من

القواعد لايدل مطلقاً على أنه أرقى المبادىء وأصلح القواعد التي يمكن أن يقوم عليها الاجتماع الانسانى .

يقول طاغور — « لقد حبتنى الدنيا برضاها اذ تقبلت منى الدعوة الى الاخاء العام . وانى لاعتقد بأنى أكون فاقد القيمة معدوم النفع اذا قام فى نفسى يوماً شعور بالقومية أو التفوق النوعى أو الاحساس بالعزة الآثمة أو الكبرياء أو المجد العالمى . »

لهذا نجد أن طاغور قد احتقر المدنية الغربية لدى زيارته الاخيرة لاوروبا ورأى فيها ذلك الشبح المخيف الذى يقضى على آمال الانسانية فى أن تعيش عيش الاخاء والمحبة . رأى في المدنية الغربية مدنية تقوم على الحديد وعلى النار . وعنده أن هذه الاشياء من أخص مايفرق بين الانسان والانسان ومن أحد الاسلحة التى تفصل بين الانسان والطبيعة ، فى حين أن معتقده الثابت يقوم على أن الانسان اذا اندمج فى الطبيعة اندماجا تاما كان ذلك اولى الخطا التى تسلم به الى الاندماج فى اللانهاية . وعنده ان الاندماج فى اللانهاية امجد الاشياء التى يجب ان ينصرف في سبيلها الانسان باعتباره المبدأ الاعلى في الوجود .

اسماعيل مظهر

الضحية

رواية تمثيلية كاملة

تأليف الشاعر الالهى العظيم

رابندرانات طاغور

الاهداء

«الى الابطال الذين ايدوا السلام ، فى الوقت الذى تقدمت فيه الضحية البشرية الى آلهة الحرب » .

*
* *

مقدمة المترجم

ليس من شيء هو أبعد عن الاقساط فى القول ، وأدنى الى العسف من وضع مقدمة يحاول فيها الباحث أن يلزم القراء أن يقفوا بادراكهم عندماوصل اليه إدراكه من هذه الرواية . فان المعانى ضخمة عظيمة ، والصور ملأى فائضة .

ولكن الواجب فى هذا الموضع أن ننبه على أن أشخاص الرواية اذا اخذوا على أنهم شخصيات جامدة ، لاشخصيات معنوية ، فقد الباحث أخص ماتقوم عليه الرواية من المعانى التى رمى اليها الشاعر الكبير. وكذلك الحال في أكثر روايات طاغور ، فان شخصياتها معنوية صرفة . لهذا نجتزىء من الاطناب بتعريف ماتمثل الشخصيات من المعانى . واليك ما أدركنا من المعانى :

غوفندا — الارادة	الآلهة قالى — الوهم
جاسنج — التضحية	نكشاترا — الضعف النفسانى
راغوباتى — الاعتقاد	ابارنا — الحق
نايان راى — الواجب	جونافاتى — الامومة

فانك اذا قرأت الروايه قراءة أو رأيتها ممثلة على هذا ، أمكنك أن تدرك المرمى الحقيقى الذى رمى اليه طاغور في روايته ، وهو حب السلام والقضاء على آلهة الحرب التى تمتص دم الحياة وتضحى بها على مذبحها ؟

اسماعيل مظهر

* * *

الضحية

معبد في تبيرا

تدخل المليكة جونافاتي وتخاطب النصب

جوناقاتي — هل أغضبتك ياأمي العزيزة ؟ أنت تمنحين المتسولات أولادا يبعنهم ليعشن بما يبـذل لهن من ثمن ، وللباغيات يقتلنهم ليسلمن من العار . وهأنذا ملكة عظيمة ، وتحت قدمي تسجد الدنيا كلها .هاأنذا أمضي باحثة بلا أمل في أن أحظى بلمسه طفل أضمه الى صدري ، لعلي أنعم بعاطفة تجعل حياتي أغلى قيمة وأكبر خطراً . أي جرم اقترفت ؟ وأية كبيرة ارتكبت ياأماه ، لأستحق كل هذا ، ومن أجلها تطردينني من ملكوت الامهات ؟

يدخل الكاهن راغوباتي

جونافاتي — هل علمت ياأبت أني قصرت في واجبات التعبد ؟ وزوجي ! ألست تجد فيه من صفاء القلب مايشبه صفاء الآلهة ؟ فلماذا شاءت آلهتنا التي تغزل شبكة هذا الوهم الدنيوي ، أن تنبذني في صحراء العقم الجدبة ؟

راغوباتي — إن أمنا هيكل مجسم من القوانين العاتية . إنها لاتعرف قانونا . أما أحزاننا ومسراتنا ، فمجرد وساوس تمر على خاطرها . اصبري يابنتي ! فاننـا سنقدم اليوم ضحية باسمك ، عساها ترضى !

جونافاتي — تقبل طاعتي واحترامي ياأبي . ان قرباناتي في طريقها الى المعبد حيث أرسلت بأغصان الهيبيسكوس الحمراء ، والحيوانات التي سوف يضحى بها

(يخرجان)

* * *

يدخل الملك غوفندا، وجاسنج خادم المعبد، وأبارنا السائلة

جاسنج — ماهي رغبتك يامولاي ؟

غوفندا — هل صحيح أن هذه البنت الفقيرة قد أحضر عنزة الى المعبد ليضحى به ؟ وهل تتقبل أمنا مثل هذه العطية بقبول حسن ؟

جاسنج — كيف يمكننا أن نعرف من أين يلتقط الخدم الضحايا التى تقدمها كل يوم اثناء تعبدنا ؟ ولكن ! لماذا تبكين أيتها البنت؟ أيخلق بك أن تبذلى دموعك سخية فائضة من أجل شىء أخذته منك الام العظمى ؟

أبارنا — الام ! إنى أنا أمة . اذا تأخرت عن القدوم الى كوخى ، فانه يرفض الحشائش التى تقدم له طعاما ، ويظل متطلعاً بعينيه الى الطريق. إنى أضمه بين ذراعي لدى عودتى ، واقتسم واياه غذاءه ، وحاجات حياتى . إنه لا يعرف أماً غيرى.

جاسنج — لو انى أستطيع أن أرد على العنز الحياة ثانية ، ولو فقدت بذلك قسما من حياتى ، لفعلت عن طيب خاطر . ولكن كيف أستطيع أن أرد شيئاً أخذته الأم بنفسها؟

أبارنا — الأم ! ان هذا الكذب . كلا . انها ليست بأم، بل شيطان. !

جاسنج — ياللكفر !

ابارنا — هل أنت مقيمة هنا أيتها الام ، لاعمل لك الا أن تسلبى من بنت فقيرة مثلى ما تحب ؟ إذن فأين العرش الذى أقدم اليه شكواى منك ؟ خبرنى عن هذا أيها الملك ؟

غوفندا — إنى صامت يابنيتى . ليس عندى من جواب .

أبارنا — هل هذه القطرات التى تجرى على الدرج هي قطرات دمه ؟ عند ما اضطربت صائحاً رهبة على حياتك ، لماذا لم تصل الى صميم قلبى صرخاتك من بين جنبات هذه الدنيا الصماء ؟

جاسنج — (موجها الكلام الى النصب) أيتها الام «قالى»: لقد خدمتك منذ حداثتى ، وحتى الآن لاأستطيع أن أفهمك ! هل الشفقة شىء خصت به الذوات الفانية الضعيفة وحدها ، ولم تخص به الآلهة ؟ تعالى معى يابنتى ،فلأفعل لك ما أستطيع فعله . ان الغوث يجب أن يبذله الانسان ، اذا ضنت به الآلهة .

(يخرج جاسنج وأبارنا)

***

يدخل راغوباتى ونكشاترا أخو الملك والبطانة الملكية

الكل — ليحيى الملك .

غوفندا — اعلموا جميعاً بأنى أمرت بأن لاتهرق دماء داخل المعبد بعد الآن .

وزير — أأنت تأمر بأن لا يضحى للآلهة ؟

الجنرال نايان راى — أتأمر بمنع الضحية ؟

نكشاترا — ما أكبر هذا ! أتمنع الضحية ؟

راغوباتى — هل هذا حلم ؟

غوفندا — ليس حلماً ياأبت ! إنها يقظة . لقد حضرت الى الام فى صورة ابنة مقبورة ، وأخبرتنى أنها لاتسمح باراقة دماء بعد الآن .

راغوباتى — لقد ظلت تشرب الدماء أجيالا . فمن أين جاءت الكراهية ، ومن أين هبط التعفف عن الدماء ، فجاءة و بلا انذار ؟

غوفندا — كلا . انها لم تشرب دماء أبداً . بل ظلت طوال العصور مترفعة عن هذا.

راغوباتى — إنى أحذرك ! فكر واعتبر ! إنك لاتستطيع أن تعطل شرائع جاءت بها الكتب المقدسة .

غوفندا — إن كلمات الله فوق كل الشرائع .

راغوباتى — لاتمزج أوهامك بالكبرياء . هل بلغت سفاهتك مبلغاً يخيل اليك معه أنك وحدك الذى سمع كلمات الله ، ولم أسمعها أنا ؟

نكشاترا — ان هذا لعجيب ! وأعجب منه أن يكون الملك قد سمع من الآلهة ولم يسمع الكاهن !

غوفندا — ان كلمات الله ترن أصداؤها فى جنبات الدنيا كل آن . ولكن الذى يتصامم عنها لايسمعها .

راغوباتى — يالك من ملحد ! يا لك من مجدف !

غوفندا — أيها الأب . اذهب لتقوم بفرض الصباح ، وأعلن على الملأ أنهم سوف يعاقبون منذ اليوم بالنفى اذا تجرأ أحدهم على أن يهدر دم الحيوانات في عبادة الأم : موجدة كل المخلوقات .

راغوباتى — أهذه كلمتك الأخيرة ؟

غوفندا — نعم .

راغوباتى — إذن فعليك اللعنة ! هل زين لك وهمك ، بل صورت لك كبرياؤك أن الآلهة ما دامت تقيم فوق أرضك فقد أصبحت من رعيتك ؟ هل تتوهم أنك تستطيع أن تقيدها بشرائعك ، وأن تمنع عنها حقوقها؟ إنك لن تفعل هذا ! انى أصارحك به ، أنا خادمها وعبدها .

نايان راى — اسمح لى يا مولاى أن أسألك . هل لك هذا الحق ؟

الوزير — أيها الملك . ألم يبق من محل لأن ترجع عن أمرك ؟

غوفندا — اننا لا نجرأ على أن نتباطأ في استئصال الخطيئة من أرضنا !

الوزير — لا يمكن أن تمتع الخطيئة بعمر مديد كهذا . هل يمكن أن تكون تلك المراسم التعبدية التى نشأت وأربابها تطاول الزمن حتى اعتقت تحت قدمى الآلهة من الخطيئات ؟

(يصمت الملك)

نكشاترا — بالتحقيق . إن هذا غير ممكن .

نايان راى — هل لك من حق فى أن تستأصل شيئاً كسب مع الزمان حقاً وأصبح لزاما ؟

غوفندا — لا أريد أن تمادوا في هذه الشكوك والمناقشات . اذهبوا وأذيعوا أمرى في كل البلاد .

الوزير — لكن! يا مولاى ! إن الملكة قد ارسلت بقربانانها للتضحية فى هذا الصباح ، وأنها تكاد تبلغ باب المعبد الآن .

غوفندا — عودوا بها .

(ويخرج)

الوزير — ما هذا ؟

نكشاترا — هل سنهبط إلى مستوى البوذيين الذين يظنون أن العجماوات لها مثلنا حق الحياة ؟ يا للحماقة !

(يخرجون جميعاً)

* * *

يدخل راغوباتى ووراءه جاسنج وبيده جرة فيها ماء

جاسنج — أيها الأب .

راغوباتى — إذهب !

جاسنج — هنا قليل من الماء .

راغوباتى — لا حاجة لى به

جاسنج — وثيابك ؟

راغوباتى — إذهب بها بعيداً .

جاسنج — هل أغضبتك فى شىء ؟

راغوباتى — دعنى منفرداً . لقد تضخمت أشباح الخطيئة . ان عرش الملك يرفع رأسه المغرور فوق مذبح الهيكل .

أنت يا آلهة هذه الأيام المعكوسة المنكوسة ! هل أنت على استعداد لأن تتقبلى شرائع الملك حانية الرأس ، خاشعة البصر ، خاضعة له خضوع البطانة والحاشية ؟ هل اجتمع الناس والشياطين متناصرين ليذهبوا بملكوت الآلهة من هذه الارض ، وعجزت السماوات عن أن تذود عن حظيرة شرفها ؟ ولكن لدينا البراهمة ، إن غابت عنا الآلهة . ولسوف يقدم عرش الملك لنيران غضبهم قرباناً.

يابنى إن عقلى مضطرب ذاهل .

جاسنج — أى شىء حدث يا أبت ؟

راغوباتى — أعجز عن أن أجد كلمات أعبر بها عما حدث . اسأل الأم ، آلهتنا التى أستبيح حماها .

جاسنج — استبيح حماها. ومن استباحه؟

راغوباتى — الملك غوفندا .

جاسنج — الملك غوفندا يستبيح حمى الأم « قالى » !!!

راغوباتى — لقد استباح حماى وحماك وحمى الكتب المقدسة ، وحمى

كل البلاد والأزمان . استباح حمى «مها كالى» آلهة الزمان المنحدر بلا نهاية ، وهو جالس على عرشه الضئيل المتداعى .

جاسنج — الملك غوفندا . . !

رغوباتى — نعم نعم . ملكك غوفندا ، حبة قلبك ، وسمير فؤادك يالقلة وفائك ! أبعد أن اهبك كل قلبى لأنشئك وارفع ذكرك ، أجدك أكثر وفاء للملك غوفندا مما أنت لى ؟

جاسنج — إن الطفل انما يرفع يديه للبدر المضيء وهو جالس على صدر أبيه · انت ابى . أما بدرى المنير فالملك غوفندا .

أحقيقة إذن ما أسمع من الناس بأن الملك حظر التضحية داخل المعبد ؟ ولكننا لا نستطيع أن نطيعه في هذا .

راغوباتى — النفى لمن لا يطيع .

جاسنج — ليس بخطب أن ينفى الانسان من أرض تصبح فيها عبادة الام ناقصة مبتورة . كلا فانى ما دمت حيا ، فلا بد من أن تظل خدمة المعبد كاملة وواجباته مؤداة على أحسن حال .

(يخرجان)

* * *

تدخل جونافاتى ومعها خادم

جونافاتى — ما الذى تقول ؟ أيرجع قربان الملكة من باب المعبد ؟ هل فى هذه البلاد انسان يحمل فوق أكتافه أكثر من رأس واحد ليجرأ على أن يفعل هذا ؟ من هو ذلك المخلوق التعيس ؟

الخادم — انى اخشى أن اسميه

جونا فاتى — اتخشى ان تسميه وأنا أسألك ؟ من في هذة البلاد تخافه أكثر مما تخافنى ؟

الخادم — اعف عنى

جونافاتى — مساء الامس ليس ببعيد عندما حضر مغنو البطانة يرتلون

مدائحى . وبالامس باركنى البراهمة . والخدم كانوا يتقبلون أوامرى فى صمت وهدوء . فماذا حدث حتى تنكرت كل الاشياء فى برهة واحدة ؟ أأنكرت على الآلهة عبادتها ، كما أنكرت على الملكة سلطتها ؟ هل أصبحت بلاد«تريبورا» أرض الاحلام ؟

بلغ الكاهن تحيتى وأسأله أن يحضر الى .

(يخرج الخادم)

* * *

يدخل غوفندا

جونافاتى — هل سمعت ايها الملك ان قربانى قد رد ثانية من باب معبد الام ؟

غوفندا اعرف ذلك

جونافاتى — انت تعرف ! ومعهذا تقنع رأسك للاهانة !

غوفندا — إنى اسألك العفو عن هذا الجانى

جونا فاتى — انى اعرف ايها الملك انك رحيم القلب . ولكن هذه ليست رحمه. ان هذا لضعف . اما اذا كانت شفقتك ستكون سببا فى ان تصفدك بالاغلال، اذن فاترك أمر العقاب في يدى . وما عليك الا ان تخبرنى من هو ؟

غوفندا — أنا الجانى أيتها الملكة . أما جريمتى فليس لها أثر، الا انى جعلتك تتألمين .

جونافاتى — انى لاأفقه ماتقول

غوفندا— منذ اليوم منعت اهراق الدماء فى هيكل الآلهة في بلادى .

جونافاتى — من الذى يمنعه .

غوفندا — الأم نفسها .

جونافاتى — من سمعها

غوفندا — أنا .

جونافاتى — أنت ! ان هذا يضحكنى . أتحضر ملكة الدنيا برمتها وتتقدم

الى أعتاب ملك « تريبورا » و بيدها عريضة تطلب بها معونته ..!

غوفندا — لم تحضر بعريضة في يدها، ولكن بأحزانها .

جونافاتى ـ ان سلطتك لاتتعدى الى داخل المعبد . لاترسل باوامرك إلى هناك ، لانها لن تنفذ .

غوفندا ـ ليس الامر أمرى . ان الامر أمرها . أمر الأم

جونافاتى ـ اذا لم يكن لديك من شك فى أمرك هذا ،فلا أقل من أن لاتقف عثرة في سبيل معتقدى . دعنى أقوم بواجب دينى حسب ما أرى .

غوفندا ـ لقد وعدت آلهتى بأن امنع تقديم الضحاياالحية في المعبد ، ويجب على أن أنفذ ما وعدت به .

جونافاتى ـ وأنا أيضا وعدت الآلهة بدم مائة عنز ومائة عجل . ولا بد لى من تنفيذ وعدى . ولك أن تتركنى الآن .

غوفندا ـ كما تريدين

(يخرج)

***

يدخل راغو باتى

جونافاتى ـ لقد عادت قربانانى من المعبد ياأبتاه !

راغو باتى ـ ان الصلاة التى يقوم بها أدقع المتسولين وأشدهم خصاصة ، ليست باقل قيمة من صلواتك أيتها الملكة . ولكن البلوى في أن الأم قد جردت من حقوقها . والكارثة فى ان كبرياء الملك قد انقلبت تنينا مزعجا منتفخ الاوداج ، يمنع عنا الرحمة القدسية ، ويحدج المصلين المتعبدين بعينيه النار يتين القادحتين بالشرر .

جونافاتى ـ وأى شيء يترتب على هذا ياأبتاه ؟

راغوباتى ـ هذا في علمها هى : التى تزود هذه الدنيا بما يلذ لها من احلام . أما الذى انا متحقق منه ، فهو أن هذا العرش الذى يريد الجالس عليه ان يغشى على معبد الام بسلطانه ، سوف ينفجر كفقاعة ماء ، ويفنى في خلا بلا نهاية .

٢ م — ضحية

جونوفاتى — كن رحيما ونجنا ياأبتاه .

راغو باتى — أنا أنجيكم !! أنت زوجة ذلك الملك الذى يفخر بأن ملكوته قد ملأ الارض وفاض عنها فوصل الى السماء ؟ هذا الذى يظن أن الآلهة والبراهمة يجب ان يطيعوه ؟ ياللعار ! ياهذا الزمان الاعوج . سترين كيف يكون الامر عندما تنصب عليه لعنة البراهمة ، وتلدغ عقله حتى الجنون .

(ويحاول تمزيق خيط التضحيات)

جونافاتى — (تمنعه) ارحمنا .!

راغوباتى — اذن ردوا على البراهمة ماهو حق لهم

جونافاتى — سا فعل . اذهب ياسيدى وانصرف الى صلواتك ولا تهتم بشىء بعد الآن .

راغو باتى — لاشك في أن مروءتك تغمرنى . إن لحظا واحدا من سحر عينيك، كاف لان ينقذ شرف الآلهة من العار ، ويرد على البراهمة حقوقهم المقدسة . ولتكونى مباركة الى يوم الدين (يخرج)

***

يعود الملك غوفندا

غوفندا — ان ظل الغضب الظاهر على جبينك ، يخفى كل الانوار المنبعثة من قلبك .

جونافاتى — اذهب ! لا تكن سببا فى صب اللعنة على هذا البيت .

غوفندا — ان ابتسامة المرأة تذهب بكل لعنة من البيت . اما حبها فرحمة من الله .

جونافاتى — اذهب ولا ترنى وجهك مرة أخرى !

غوفندا — سلارجع أيتها الملكة عند ما تتذ كريننى

جونافاتى — (متعلقة بقدمى الملك) ... سامحنى ايها الملك . هل تصلب قلبك حتى انك نسيت أن تحترم كبرياء المرأة ؟ الا تعرف ياحبيبى أن الحب اذا فشل حيث ينتظر أن ينجح ، تنكر بثوب الغضب ؟

غوفندا ـ إني أموت ولاشبهة اذا فقدت ثقتي فيك . اني اعرف ياعزيزتي أن مقام السحب لساعة ، أما الشمس فلكل الايام .

جونافاتي ـ ستمر السحب ، وسوف يرتد الرعد ، صوت الغضب الآلهي ، الى اجوائه القصية ، ولسوف تشرق شمس الايام على التقاليد القديمة الباقية منذ أبعد العصور . نعم ياملكي العزيز ، مر بهذا . ليرجع البراهمة الى مزاولة حقوقهم والتمتع بها ، ولتعد الآلهة الى ضحاياها ، ولترتد سلطة الملك إلى حدودها الزمنية

غوفندا — ليس من حق البراهمة أن ينتهكوا الخير المطلق — الخير الابدى . ان دم المخلوقات ليس وقفاً على ضحايا الآلهة . وانه من حق الملك ، كما أنه من حق أحقر فلاح ، أن يحافظ على الحق ، وأن يدفع عن الاستقامة ما يشوش سبيلها .

جونافتي — إني أعفر نفسي في التراب راجية ، وعلى مواطىء قدميك أركع جاثية . إن العادة التي تجيزها الازمان الطويلة ، والقرون المتعاقبة ، ليست من حق الملك في شيء . إنها كهواء الجو ، ملك للجميع . ومع هذا فإن ملكتك تستجديك ، ضامة يديها على صدرها ، بالنيابة عن الناس ، وبالاصالة عن نفسها.

هل يمكن أن تظل ساكتاً أيها الرجل المتكبر ، رافضاً رجوات الحب لتقوم بواجب لا ريب فيه ؟ إذن فاذهب . إذهب من أمامي ، وابتعد عني .

(يذهبان)

* * *

يدخل راغوباتي ومعه جاسنج ونايان راى

راغوباتي — أيها القائد . إن ولاءك للأم أمر معروف غير مشكوك فيه .

نايان راى — إنه تقليد ورثته عن أسلافي .

راغوباتي — إذن فلتتزود من هذا الباب القدسي بشجاعة لا يشوبها خوف ولا تعرف نكوصاً ، ولتجعل شجاعتك نصل سيفك قويا حاداً كرعيد الآلهة ، وليستعلي بمكانه على كل القوات والاماكن التي هي في الارض .

نايان راي — إن تباريك البراهمة لن تذهب سدى .

راغوباتى — إنى آمرك أن تحشد زحفك وتحطم عدو الأمم الى الحضيض، وتجعله ترابا .

نايان راى — خبرنى يا أبت من هو عدوها ؟

راغوباتى — غوفندا ..!

نايان راى — مليكنا !

راغوباتى — نعم . هاجمه بكل ما أوتيت من قوة

نايان راى — إنها لنصيحة فاسدة . يا أبت ! هل تقول لى هذا القول لتبلونى ؟

راغوباتى — نعم لأبلوك . ولأعرف خادم من أنت ؟ دع عنك كل تلكأ أو توان . وأعرف أن الآلهة تدعونا . وهنالك يجب أن ينفرط عقد كل الروابط التى تربط الناس فوق الارض ، مادامت قد دعتنا .

نايان راى — ليس في ذهنى توان أو تلكأ . انى أقف ثابتاً في مكانى الذى وضعتنى فيه الآلهة .

راغوباتى — إنك لشجاع .

نايان راى — أأكون أحقر من خدم الأمم بأن أطيع الأمر ، فأصبح خائناً جباناً ؟ إنها هي بذاتها التى تقوم حفيظة على العقيدة التى ينطوى عليها قلب الانسان ! هل يمكن أن تسألنى هي أن أحل روابطها وأن أنقض عهدها ؟ أما إذا وقع هذا ، فليوم يندك الملك الى الحضيض ، وفي الغداة تنسف الآلهة مع الريح !!

جاسنج — ما أشرف هذه الكلمات وأنبلها !

راغوباتى — إن الملك ، وقد خان عهد الأمم ، قد فقد كل سلطان عليك ، وجعلك بعمله هذا فى حل من طاعتك وخضوعك له .

نايان راى — لا تقذف بى يا أبت إلى تيه موحش في الجدل العقيم . إنى لا أعرف سوى طريق واحد ، هو الطريق المستقيم ، صراط العقيدة والحق . وإنى على الرغم من أنى أعتبر نفسى خادما ضعيف الفهم من خدام الأمم ، لا أستطيع مطلقاً أن أتنكب هذا الطريق العلوى ، طريق الامانة والشرف . (يخرج)

جاسنج — لنثبت على عقيدتنا كما هو ثابت ياسيدى . لماذا نطلب مساعدة الجنود ؟ إنا لذوو قوة فى أنفسنا جديرة بإتمام واجبنا الذى تدعونا اليه السماء .

افتح يا أبت باب المعبد على مصراعيه ، ودق الطبول ، ونادى : إلى أيها الناس . إلى لتعبدوا الأم التى سوف تذهب بكل خوف من قلوبكم . تعالوا يا أبناء الأم العظمى .

(يدخل جمع من الرعية)

الأول — تعالوا . تعالوا . إننا مدعوون .

الكل — النصر للأم .

(يغنون ويرقصون)

« الأم الهالعة ترقص عارية في ساحة القتال ،

« ولسانها مندلع من بين شفتيها كلهيب النار الحمراء ،

« وجدائلها السوداء تطير مع الهواء وتغشى على الشمس والنجوم ،

« ومن أطرافها الداكنة بلون السحاب الثقال تجرى أنهار من الدم ،

« والدنيا تضطرب وتقرقع صدوعها من وقع أقدامها .

جاسنج — هل رأيتم عجلات القربان آتية نحو المعبد يسوقها خدام الملكة ؟

(الجميع يصيحون)

النصر للأم . النصر لملكتنا .

راغوباتى — أسرع ياجاسنج وتهيأ للصلاة .

جاسنج — كل شىء قد تهيأ يا سيدى .

راغوباتى — أرسل رجلا ليدعو الأمير نكشاترا عنى .

(يذهب جاسنج والجماهير تغنى وترقص)

***

يدخل الملك

غوفندا — إلزم الصمت يا راغوباتى ! أتجرأ على أن تفسق عن أمرى .

راغوباتى — نعم سأفعل .

غوفندا — إذن فلست بجدير بأن تبقى في بلادى .

راغوباتي — كلا إن الأرض التى تجدر بى هي التي يقبل فيها تاج الملك

التراب . كلا .

أيها الناس ! احضروا ضحايا الأم الى هنا

(يضربون على الدفوف)

غوفندا — اسكتوا

(ومشيراً الى أتباعه)

أدعوا الى قائد جيشى . انك ياراغو باتى قد حملتنى على أن أدعو الجند ليحموا ذمار الحق الآلهى . انى لاشعر بخجل من أجل هذا . لان قوة السلاح انما تعبر اصدق تعبير عن ضعف الانسان .

راغوباتى — أيها الشاب. هل أنت على يقين من أن البراهمة قد فقدوا كل حقدهم القديم ؟ كلا . فان السنتها ستندلع من قلبى لتحرق عرشك وتتركه رماداً . أما اذا عجزت تلك النار عن أن تفعل هذا ، إذن فسوف ألقى بالكتب المقدسة الى النار ، ومعها كبرياء البراهمة ، وكل الاكاذيب الهائمة من فضاء المعبد وهيا كله

***

يدخل نايان راى وشندبال قائد الجيش الثانى

غوفندا — قف هنا بجنودك لتمنع التضحية بالحياة في المعبد .

نايان — سامحنى يامولاى. فان خادم الملك المطيع ، عاجز مفقود الحيلة بين جدران المعبد الآلهى .

غوفندا — أيها القائد . ليس لك أن تناقش أوامرى . وعليك أن تنفذ كلماتى . أما خطؤها أو صوابها ، فذلك من شأنى وحدى .

نايان — إنى خادمك يامولاى . ولكنى رجل قبل كل شيء . بى عقل ولى دين. وكما أن لى ملكا ، فلى أيضاً آله .

غوفندا — إذن سلم سيفك الى شندبال ، انه سوف يحمى المعبد من إراقة الدماء .

نايان راى — لماذا أسلم سيفى الى شندبال ؟ ان هذا السيف اعطاه أجدادك الملوك الى آبائى الاولين ، فاذا أردت أن أرده ، فانى انما أرده لك أنت لا لغيرك .

« اشهدوا على يا آبائي ، يامن يعيشون فى جنة الابطال ، اشهدوا بان هذا السيف

لذى ألبستموه ثوب القداسة بولائكم وشجاعتكم ، يسلم الآن الى الملك ».

(ويخرج)

راغوباتى — ان لعنة البراهمة قد بدأت تنصب وتعمل عملها .

(يدخل جاسنج)

جاسنج — لقد تهيأت العجاوات للتضحية .

غوفندا — تضحية ؟

جاسنج — إصغ أيها الملك لتوسلاتى القلبية. لا تقف فى الطريق لتحجب الآلهة عن الانظار ، وأنت ذات فانية .

راغوباتى — جاسنج ! أى عار هذا . قف واسألنى العفو ، أنا أستاذك وسيدك. إن موقفك يجب أن يكون عند قدمى لا عند قدمى الملك . أيها الاخرق الاحمق. أتسأل اجازة الملك لتقوم بفروض الخدمة لله ؟ لنترك الصلاة والتضحية . ولنقف متريثين ناظرين ما سوف تؤدى اليه كبرياؤه في النهاية . تعالوا معى .

(يذهبون)

تدخل أبارنا

أبارنا — أين جاسنج ؟ أليس هنا ؟ بل انت هنا وحدك أيتها الصورة الصماء التى لا يمكن لشىء أن يحركها ؟ أنت تسلبيننا كل ما هو لدينا عزيز من غير أن تنبسى ببنت شفة . إنا نجرى وراء الحب ، ونموت فى الجوع والتسول بحثاً عنه ومع هذا فهو يأتيك غير مطلوب ولا مرغوب فيه ، ولو انك فى غير حاجة اليه ؟ كالقبر الصامت تخزنين الحب تحت أحجارك الثقيلة ، ضانة به على الدنيا التى تنشده . وأنت ياجاسنج ؟ أية سعادة تجد فيها ؟ وأى كلام فى مستطاعها أن تلقيه اليك ؟

أى قلبى ؟ أى قلبى المرور الممحل ؟

(يدخل راغوباتى)

راغوباتى — من أنت ؟

أبارنا — أنا بنت متسولة . وأين جاسنج ؟

راغوباتى — أتركى هذا المكان في الحال . إنى عالم بانك إنما تغشين هذا المكان لتسلبى قلب جاسنج من الآلهة .

أبارنا — هل للآلهة أن تخشى منى شيئاً ؟ انى أخافها

(وتخرج)

***

يدخل جاسنج والامير نكشاترا .

نكشاترا — لم ناديتنى ؟

راغوباتى — في الليلة السابقة أخبرتنى الآلهة بانك ستصبح ملكا فى خلال اسبوع

نكشاترا — آه . ان هذا لجديد بالتحقيق .

راغوباتى — نعم . ستكون ملكا

نكشاترا — انى لاأستطيع أن أصدق هذا

راغوباتى — أتشك في أقوالى ؟

نكشاترا — لاأريد أن أشك . ولكن أفرض أنه صودف ولم تتحقق .

راغوباتى — كلا انها سوف تكون حقيقة .

نكشاترا — ولكن خبرنى . كيف يمكن أن تصبح حقيقة ، و بأية وسيلة ؟

راغوباتى ـ ان الآلهة عاطشة . ولا تروى الا بدم ملك .

نكشاترا ـ دم ملك !

راغوباتى ـ يجب أن تهبها هذا الدم وتضحى به من أجلها قبل أن تصير ملكا .

نكشاترا ـ ولكنى لا أعلم كيف أجده .

راغوباتى ـ لدينا الملك غوفندا

(لا تتحرك يا جانسج)

أتفهم ؟ اقتله سراً . واحضر دمه حاراً الى المذبح

(جاسنج ! أترك هذا المكان اذا لم يكن فى استطاعتك السكون)

نكشاترا ـ ولكنه أخى وأنى أحبه .

راغوباتى ـ ولهذا ستكون تضحيتك اكبر قيمة وأنبل ذكرا.

نكشاترا ـ ولكنى قانع بأن اظل كما أنا يا أبت . إنى زاهد في الملك .

راغوباتى ـ لا مفر لك ، لان الآلهة تأمر به . انها عاطشة لدماء من بيت الملك . فاذا كان أخوك سيعيش ، فلا بد لك من ان تموت .

نكشاترا ـ ارحمنى يا أبت !

راغوباتى ـ انك سوف لا تكون حراً ، ميتا أو حيا ، حتى تنفذ رغبتها .

نكشاترا ـ اهدنى يا ابت كيف انفذها !

راغوباتى ـ انتظر في صمت . سأخبرك بما نفعل عندما تؤذن الساعة . فاذهب الان .

(يخرج نكشاترا)

* * *

جاسنج ـ ماذا الذى سمعت ؟ أيتها الأم الرحيمة أهذا أمرك ؟ أرغبتك في أن يقتل الاخ اخاه ؟

سيدى ! كيف تقول بان هذه هي ارادة الام ؟

راغوباتى ـ لم تكن لدى من وسيلة أخرى لاخدم آلهتى .

جاسنج ـ وسيلة ! ولماذا الوسائل ؟ أيتها الام . اليس لديك سيفك القاطع لتنفذى أنت بيدك القوية ؟ أهو لزام أن تذهب ارادتك حافرة تحت الثرى انفاقا ؟ كما يفعل اللص القاتل، لتسلب سرا في الظلام ؟ ياللخطيئة !

راغوباتى ـ ماذا تعرف عن الخطيئة !

جاسنج ـ ماعرفته منك ؟

راغوباتى ـ اذا قف معى . قف وتلق درسك ثانية منى . ليس للخطيئة من معنى فى الواقع . انك تقتل لتقتل . ليس في ذلك من خطيئة أو أى شيء آخر . الست تدرى أن ترى هذه الارض انما يتكون من عدد غير محدود من حوادث القتل والتقطيع ؟ ان الزمن القديم ما ينفك يخط حوادث الحياة المنحدرة فى جوف العدم مع مخلوقاتها بمداد من دم. يقع القتل أينما تتصور . فى القفر المجدب وفى حظائر الانسانية ، وفي عشوش الطير، وفى حفر الحشرات ، وفي البحر ، وفي

الدماء .وهنالك كلٌ من أجل الحياة ، وقتل من أجل التسلية ، وقتل للاشيء اصلا. الدنيا تقتل من غير أن تهدأ . نوبتها . وكذلك الآلهة « قالى » ، روح الزمان الفائض بالفتنة ، واقفة ولسانها العاطش مندلع من فمها ، وكأسها بيدها ، حيث اليه يتسرب دم الحياة القانى ، كما يتسرب الرحيق الى الدنان من عناقيد العنب الشهية .

جاسنج ـ قف يااستاذى . اذن فالحب تضليـل ، والرحمة سخرية ؟ وكل ما فى هذه الحياة ، من حق باق منذ أبعد الازمان ، منحصر في نهمة القتل والتعطش الى الهدم والتحطيم ؟ و إذا صح هذا افليس من المعقول أن تكون الحياة قد حطمت بعضها بعضا وفنت منذ ازمان قصية ؟

انك انما تلعب بقلبى ياأستاذى ؟ انظر هنالك . انها تنظر الى وعلى شفتيها تلك الابتسامة الحلوة التى تنم عن السخرية .

أيتها الام المتعطشة الى الدماء . هل تقبلين دمى ؟ هل أغمد هذا الخنجر في صدرى وأضع نهاية لحياتى ؟ هل الدم الذى يجرى في هذه العروق لك فيه شهوة، وفى عقلك منه نزوة ؟ ايتها الام العاطشة دماء .

يااستاذى ! هل تدعونى ؟ إنى لأعلم انك انما تريد أن ينفطر قلبى الماً فيفيض من صدرى على قدمى الام ، وهذه تكون التضحية الصحيحة . ؟ولكن دم الملك ! هذه الام الولهة حباً فيك ، أتتهمها بنزوة القتل وحب الدماء ؟

راغو باتى ـ اذن فلتتعطل التضحيات في المعبد

جاسنج — نعم ! ليكن . كلا . كلا

ياأستاذى انك تعرف الحق ، كما تعرف الباطل . ان شرائع القلب ليست بذاتها شرائع الكتب المقدسة . العيون لا تستطيع أن ترى بنورها هي . بل يجب أن يأتى اليها النور من الخارج . اعف عنى ياأستاذى . أعف عن جهلى . والان خبرنى يا أبت . أصحيح ان الآلهة ترغب فى دم الملك ؟

راغوباتي — وأسفا يا بنى . هل فقدت ثقتك بى ؟

جاسنج — ان حياتى تتوقف على ثقتي فيك . واذا كانت الآلهة ترغب حقيقة

فى دم الملك فانى احضره الىا • وسوف لااسمح مطلقا لاخ ان يقتل اخاه •

راغو باتى ـ لا يمكن ان يكون تنفيذنا لاوامر الله خطيئة

جاسنج ـ كلا انه لزام ان يكون خير • وسأنتهز فرصة نيله

راغو باتى ـ ولكنى انشأتك يا بنى منذحداثتك ، وشببت قريبا من قلبى ، ولا استطيع ان افقدك مهما كانت الاحوال

جاسنج ـ سوف لا اجعل حبك مدنسا بالخطيئة . و يجب عليك إذن ان تحل ألامير نكشاترا من عهده

راغو باتى — سافكر ، ثم اخبرك عما ارى من رأيى فى الغداة .

(يخرج)

***

جاسنج ـ ان العمل والتنفيذ ، مهما كان فيه من القسوة، لاروح على النفس من جحيم الفكر والشك . انك لعلى حق يا أستاذى، والصدق فيما نطقت به. لاخطيئة فى أن تقتل . ولا خطيئة فى ان يقتل الاخ اخاه . ولا خطيئة فى ان نقتل الملك .

الى اين انتم ذاهبون ؟ الى سوق نيسابور ؟ الى حيث ترقص النساء. آه ما احلى هذه الدنيا ! ان اطراف الفتاة الراقصة جميلة متناسقة

من اجل اية تسلية تجرى هذه الجماهير على الطريق مالئة جوانب الفضاء بصياحها المتعالى ؟ ساتبعهم لارى

(يدخل راغو باتى)

راغو باتى ـ جاسنج !

جاسنج ـ انى لا اعرفك ساغمر نفسى فى عمق الجماهير . فلماذا تأمرنى بالوقوف ؟ اذهب فى طريقك .

راغو باتى — جاسنج !!

جاسنج — الطريق ممهود أمامى : سأسلكها و بيدى جرة الصدقات وهى البنت المتسولة أتخذها رفيقة . من ذا الذى يقول بأن طرق الدنيا ملتوية متعسرة؟ على أية حال سوف تبلغ بنا النهاية : النهاية التى تنتهى معها سلطة الشرائع والاحكام

وتنسى معها خطيئات الحياة وآلامها ، حيث تلك الراحة الابدية : ماذا تجدى دننا الكتب المقدسة ، والعلوم وتعاليمهم ؟ يا أستاذى : يا أبت ما هذه الكلمات البائرة التى نطقت بها ؟ أكنت في حلم ؟ هنالك يقوم المعبد ، كالحق فى ثباته وقوته . ماذا كانت أوامرك يا أستاذى ، انى لم أنسها بعد ؟

(ويخرج مديته)

انى أحد كلماتك في ذهنى ، حتى تبلغ من المضاء مبلغ هذه المدية . هل لديك أى أمر آخر لا تلقاه منك

راغوباتى — يا ولدى ! ياحبة قلبى بأى لسان أعبر لك عن مبلغ حبى لك ، وعطفى عليك

جاسنج — لا يا أستاذى . لا تحدثنى عن الحب . فلا فكر دائماً فى الواجب . إنما الحب كالحشيش الاخضر وكالأشجار وكموسيقى الحياة ، كلها أشياء ينعم بها سطح الارض . إنها تأتى وتفنى كالأحلام . ولكن من وراء هذه الاشياء يكون الواجب ، كطبقات الصخور العاتية ، أو كحمل ثقيل لا يمكن أن تزحزحه القوات

(يخرجان)

* * *

يدخل غوفندا وشندبال

شندبال — يامولاى انى انذرك ان تأخذ حذرك

غوفندا — ماذا تعنى؟

شندبال — ان مؤامرة تدبر لاغتيالك

غوفندا — من ذا الذى يريد حياتى

شندبال — احذر ان اخبرك يامولاى . لئلا يكون الخبر افعل في قتلك من المدية ذاتها

الامير نكشاترا . . . . هو الذى

غوفندا — نكشاترا !

شندبال — لقد وعد راغوباتى بأن يحضر دمك الى المعبد .

موفندا الآلهة ؟ إذن فليس لى أن ألومه . لأن الانسان يفقد انسانيته ، اذا مس لأمر آلهته . أنت تذهب الآن لعملك وتتركنى وحدى .

(يخرج شندبال)

الملك مخاطباً الصورة :

« تقبلى هذه الزهرات ، أيتها الآلهــة ، قرباناً واتركي مخلوقاتك تعيش في سلام . أيتها الأم ، ان الضعفاء في هذه الدنيا قليلو الحيــلة . أما الاقوياء فقساة غلاظ الأكباد . ان الطمع بلا شفقة ، والجهــل أعمى ، والـكبرياء لاتبالى عنــدما تحطم الأضعفين تحت أقدامها . أيتها الأم . لاترفعى سـيفك وتقفى تتلظمين متعطشة الدماء . لاتثيرى الأخ على أخيه ، والمرأة على رجلها . أما اذا كانت شهوتك متجهة الى أن أطعن بيد شخص هو أخي ، اذن فلتكن رغبتك ، ولتنفذ مشيئتك . لأن الخطيئة يجب أن تنضج وأن تذهب الى أقصى حــد من البشاعة قبل أن تنفجر براكينها ، وقبل أن تموت ميتة سحرية غير محسوس بها . فان دم الملك اذا أهرق بيد أخيه ، فهنالك تخفى نهمة الدماء وجهها الشيطانى ، تاركة تبعة العمل واقعة على عاتق الآلهة . وما دامت هذه هي ارادتك ، فانى أطأطىء لها الرأس احتراماً »

(يدخل جاسنج منزعجاً .)

جاسنج ـ خبريني أيتها الآلهة ! هل أنت حقيقة في حاجة الى دم ملـكي ؟ اطلبيه بصوتك ، وأنت تنالينه .

صوت ـ أريد دماً ملـكياً .

جاسنج ـ أيها الملك صل صلاتك الاخيرة ، فإن ساعتك قد حانت .

غوفندا ـ ماالذى جعلك تنطق بهذا القول ياجاسنج .

جاسنج ـ ألم تسمع ما نطقت به الآلهة .

غوفندا ـ انها لم تـكن الآلهة التي نطقت ! اني سمعت صوتا أعرفه حق المعرفة . انه صوت راغو باتي.

جاسنج ـ صوت راغوباتى ! كلا . كلا . لاتقذف بى من شك الى شك. سواء أصدر الصوت عن الآلهة ، أم عن الاستاذ ....

(يخرج مديته و يقذف بها بعيداً)

أصغ الى صياح أولادك أيتها الام . تقبلى الزهرات الجميلة وحدها قربانا . لا تطلبى من الدماء مزيداً ! إن هذه الزهرات حمراء بلون الدم • هذه الباقات المحوكة من زهر الهيبيسكوس • إنها نشأت من قلب الارض المتفجر غضباً وحقداً على قتل أولادها • تقبلى هذا ! انه يجب عليك أن تقبليه • انى لا أخشى غضبك • أما الدماء فلست تنالينها أبداً من بعد هذا • لترفعى سيفك ، وتجحظ عيناك ! صبى علينا مهلكات السخط والتخريب • اننى لا أخافك ولا أرهبك • أيها الملك • اترك هذا المعبد لآلهته • واذهب لرجالك •

(يخرج غوفندا)

واأسفاه • أفي لحظة واحدة أبذل كل ما كان لدى • استاذى ! وآلهتى !

(يدخل راغوباتى)

***

راغوباتى ـ لقد سمعت كل شيء أيها الخائن • لقد خنت أستاذك •

جاسنج ـ عاقبنى ياأبت •

راغواباتى ـ أى عقاب تستحق ؟

جاسنج ـ عاقبنى بالموت

راغوباتى ـ كلا . فان الموت لاشيء . اقسم قسمك وأنت تلمس قدمى الآلهة

جاسنح ـ المس قدميها ؟

راغوباتى ـ قل سأحضر دماً ملكياً الى مذبح الآلهة قبل أن ينتصف الليل !

جاسنح ـ سأحضر دما ملكيا الى مذبح الآلهة قبل أن ينتصف الليل •

(يخرجان)

• • •

تدخل جونافاتى

جونافاتى ـ لقد أخفق سعيى • لقد ظننت بأنى لو ظللت جامدة هادئة بضعة أيام ، فانه سوف يسلم بما أطلب • كان فى وسعى أن أنعم بمثل هذا الاعتقاد • أية امرأة خرقاء أنا ! أظهرت أشد الغضب ، وظللت بعيدة عنه • وكان كل هـذا بلا نتيجة • ان غضب المرأة كلألاء الماس ، يضىء ، ولـكنه لايحرق • كنت أحب أن يكون كالرعد ينفجر فوق قصر الملك ، فيزعجه من نومـه العميق ، ويحطم كبرياءه الى الحضيض •

(يدخل الفتى دروفا)

• • •

جونافاتى ـ إلى أين أنت ذاهب ؟

دروفا ـ إن الملك يدعونى •

(يخرج)

جونافاتى — هنالك يذهب هذا الفتى ، حبة قلب الملك • لقد اغتصب أولادى الذين لم يولدوا بعد حب أبيهم ، واعتدى على حقهم حيث تربع فى قلب الملك سلطانا آمراً . أيتها الام « قالى » : إن خلقك بلا نهاية ، مملوء بالصور والاعاجيب . ارسلى الى بطفل اضمه بين ذراعى ،ولو في الخيال وخطرات الوهم . أنه لن يكون اكثر من قطعة من اللحم البشرى تسد فراغي ، وتؤنس وحشتى ، وسوف لاابخل عليك بهباتى مهما طلبت. (يدخل نـكشاترا)

أيها الامير! نـكشاترا . لماذا ترجع ؟ انى امرأة ضعيفة ، مغلولة السلاح ، بل مملوءة ذعراً ، فائضة رعبا .

نـكشاترا — كلا . لاتناديني :

جونافاتى — لماذا ؟ أى ضرر فى هذا ؟

نكشاترا — انى لااريد أن اكون ملـكا .

جونافاتى — ولأى شيء انت فى هذا الانزعاج ؟

نـكشاترا—اتمنى ان يعيش الملك عمراً مديدا، وان اموت كما أنا،أميرلاغير

جونافاتی — اذن قمت باسرع ما يكن . هل تفوهت بشیء أغضبك ؟

نكشاترا — اذن خبرینی ای شیء تطلبين مني ؟

جونافاتی — ان اللص الذی یرید ان یسلب التاج فی انتظارك — ابعده عنا . هل تفهم ؟

نكشاترا — نعم . من هو هذا اللص

جونافاتی — الفتی دروفا ! الست تری ان حبه یتزاید فی قلب الملك ، وكیف یتدرج فی الاستعلاء ، حتی لقد یأتی یوم یصل فیه الی التاج ؟

نكشاترا ـ نعم . لقد فكرت فی هذا الامر كثيراً . لقد رأيت أخى فى مبادلة يضع التاج على رأس الفتى .

جونافاتی — إن اللعب بالتاج لعب خطر . فاذا لم تبعد اللاعب ، فانه سوف يلعب بك أيضاً .

نكشاترا ـ نعم إنى لا أحب هذا .

جونافاتی ـ ضح به للآلهة « قالى » . ألم تسمع بأن الآلهة متعطشة للدماء .

نكشاترا ـ ولكن ؟ أيتها الاخت . ليس هذا من شأنى .

جونافاتی ـ أيها الأبله . هل يمكن أن تتصور بأنك فى أمن مادامت الأم فی نهمتها متلظية عاطشة ؟ يجب أن تنعم بالدماء . نج حياتك اذا استطعت .

نكشاترا ـ ولكنها تطلب دماً ملكياً .

جونافاتی ـ من ذا الذی أخبرك بهذا ؟

نكشاترا ـ عرفته من شخص ترسل اليه الآلهة بأحلامها .

جونافاتی ـ إذن يجب أن يموت هذا الفتى فداء للملك . إن دمه أغلى على أخيك من نفسه . ويمكن أن ينجو الملك بأن يدفع فدية هي أثمن عليه من حياته .

نكشاترا — فهمت !

جونافاتی — إذن فلا تضع وقتاً ، اتبعه ، انه لم يذهب بعيد ، ولكن تذكر! ضحه باسمی

نكشاترا — سأفعل .

جونافاتى — ان قربانات الملكة قد ردت ثانية من باب معبد الام ، أسألها أن تغفرلى .

(يخرجان)

*

* *

يدخل جاسنج

جاسنج — أيتها الام ! هل بقى من شىء صغير أم كبير قد سلم فى نزوة تخريبك؟ اذا كان قد بقى لديك اضعف شعاع من اقباسك المضيئة ينير نجماً قصياً في أبعاد الوجود ، فاجيبى ندائى ، ولو ان صونى هافت ضعيف

نادينى ! قولى ! « يابنى ها أنذا »

كلا ! انها ليست في مكان . انها غير موجودة . انها عدم . ولكن إرحمى ضعف جاسنج واشفقى عليه . أنت يا أيتها الوهم المجسم أنقابى حقيقة من اجله . هل انت باطل صرف ، وعدم مطلق ، حتى ليعجز حبى عن أن يبعث أقل أثر من الحياة في فراغك الذى هو لا شىء أصلا ؟

أيها المجنون ! لمن تقلب كأس حياتك لتفرغ كل ما فيه ! — أمن أجل هذا الفراغ الذى لا يرد سؤالا ولا يحير جوابا . ألهذا الفراغ ، الذى لا حقيقة له ولا رحمة فيه ، ولا حباً أبويا يهديه ؟

(تدخل أبارنا)

أبارنا ! لقد أقصوك عن المعبد وهكذا تعودين اليه مرة ثانية . لانك حق كائن ، والحق لا يمكن أن يستأصل . إننا نقدس الباطل فى معبدنا ، ونعبده خاضعين منيبين ، ومع كل هذا فان الام لن تكون هنالك . لا تفارقينى ياأبارنا اجلسى الى جانبى . لماذا أنت حزينة ؟ ياحبة قلبى ! هل فقدت إلهاً لم يصبح إلهاً بعد ؟ وهل لنا من حاجة بالآلهة في هذه الدنيا الصغيرة ؟ لنكن بلا آلهة ، ولنبقى على هذا بلا خوف ! وليقترب بعضنا من بعض . انهم يريدون دماءنا ولهذا هبطوا الى تراب هذه الارض ، تاركين أبهة السماء وعظمتها . ليس لديهم من أناسى فى ملكوت سماواتهم ، كلا ولا مخلوقات ، تقاسى الآلام والتعذيب . كلا يابنيتى ، ليس لنا آلهة .

أبارنا ـ إذن فاترك هذا الهيكل وأتبعنى حيث أذهب .

جاسنج ـ أأترك هذا المعبد ؟ نعم . سأذهب بعيداً ، وا أسفاه ياأبارنا ! إنه يجب ان أذهب بعيداً ، يجب أن أفارق المكان ، ومع هذا فانى لا أستطيع أن أذهب قبل أن أقوم بوفاء آخر ما على من دين ٠٠٠٠٠ ولكن ٠ فليكن ذلك ، اقتربى منى ياحبيبتى ، اسرى شيئاً فى أذنى يغمر هذه الحياة بالجذل والنعماء ، بل يغمر الموت نفسه ٠

أبارنا ـ إن الكلمات لا تتدفق عند ما يكون القلب ملآناً الى الحافة

جاسنج ـ فاسندى رأسك الى صدرى إذن. دعى سكوننا اللانهايتين، الحياة والموت، يلتقيان . ولكن لا أريد مزيداً من هذا ،

أبارنا ـ لا تكن قاسياً ، ألا يمكن أن تشعر بما قاسيت ؟

جاسنج ـ أأنا قاس ؟ أهذه آخر كلمة اسمعها منك ؟ قاس . كهذه الكتلة الصخرية التى ندعوها إلهتنا ٠ يا أبارنا ، ياحبيبتى ؛ لو أنك كنت آلهة إذن لعلمت أى نار تحرق قلبى ، ولكن أنت إلهتى ، هل تعرفين كيف وصل هذا الى علمى ؟

أبارنا ـ خبرنى

جاسنج ـ إنك إنما تحضرين الى محبك كل برهة كما تحضر الام الى طفلها ، ان الآله يجب أن يكون تضحية صرفة ، ليصب عناصر حياته فى معين كل المخلوقات

أبارنا ـ جاسنج ! تعال الى . دعنا نفارق هذا المعبد ونذهب بعيدا مترافقين

جاسنج ـ نجينى ياأبارنا ، إرحمينى واتركينى . ليس لى فى هذه الحياة سوى غرض واحد فلا تغتصبى من قلبى ذلك المكان الذى حل فيه هذا الغرض

(يفر خارجا)

أبارنا ـ لقد تألمت ثم تألمت ، ذهبت قوتى ، تفطر قلبى

(تخرج)

٠٠٠

يدخل راغو باتى والامير نكشاترا

راغو باتى ـ أيها الامير أين خبأت الفتى !

نـكشاترا ـ إنه في الحجرة ، حيث توجد آنية العبادة . لقد حاول أن ينام. أظن انى عاجز عن ان أحتمل هذا ، عند ما أراه مستيقظاً ثانية

راغو باتى ـ كان جاسنج فى سنه عندما حضر الى ، وأتذكر كم بكي حتى نام عند قدمى الآلهة ، ومصباح المعبد يرسل نوراً ضعيفاً على وجه المبلل بالدموع ، وكانت ليلة عاصفة كهذه الليلة تماما

نكشاترا ـ لاتتمهل ياأبت، أريد أن أنهى كل أمر وهو نائم ، ان صراخه يخترق قلبى كمدية محدودة الغراب .

راغو باتى ـ سوف أسقيه منوماً اذا استيقظ

نكشاترا ـ ان الملك سوف يعرف الحقيقة، اذا لم تسرع ، لانه يفرغ في الليل من مشاغل الملك ليشغل نفسه بهذا الفتى

راغو باتى ـ كن أكثر ثقة في الآلهة ، فان الفريسة الآن بين يديها ،ولن تفلت

نـكشاترا ـ ولكن شندبال يقظ وعلى حذر

راغو باتى ـ ليس هو بأكثر يقظة من أمنا

نكشاترا — ظننت انى رأيت شبحاً مر قريباً منا

راغو باتى : انه شبح مخاوفك

نكشاترا ـ ألسنا نسمع صوت استغاثة ؟

راغو باتى ـ إن هذا صوت قلبك . أقص عنك المخاوف أيها الامير . دعنا نشرب هذا الخمر في أوانه . ان الغرض الذى يرمى اليه الانسان ، ليظل ضخما عظيما مخيفا مادام كامناً بين طيات العقل لم يخرج الى حيز الوجود . أما بعد تنفيذه فانه يلوح صغيراً ضئيلا . ان البخار انما يكون داكن اللون منتشراً في الفضاء يغشاه . فاذا استحال ماء ، أصبح قطرات ضئيلة شفافة .

أيها الامير : إن الامر كلا شيء . إنه لايستغرق لحظة واحدة . لا أكثر مما يلزم لاطفاء قنديل . إن ضوء هذه الحياة إنما ينطفيء فى طرفة عين ، كالبرق

إذ يتراءى فى ليلة عاصفة من ليالى الصيف ، ولكنه يترك في قلب الملك عاصفة منقضة تبلغ الى اعماقه

ولكن لماذا أراك أيها الامير صامتاً باهتاً ؟

نكشاترا — أظن أنه من الحكمة أن لانذهب الى هذا الحد من الحرق. فلنترك هذا العمل الى الليلة القادمة :

راغوباتى — ان هذه الليلة مثل القادمة ، وربما كانت أنسب

نكشاترا — اصغ الى وقع الاقدام !!!

راغوباتى — لست أسمع شيئا

نكشاترا — أنظر هنالك ! أنظر الضوء

راغوباتى — لقد أتى الملك ! اخشى أن نكون قد توانينا كثيرا

يدخل الملك ومعه بطانة

الملك — اقبضوا عليهما : (والى راغوباتى) هل عندك شيء تقوله

راغوباتى — كلا

الملك — هل تعترف بجريمتك ؟

راغوباتى — جريمة ! نعم ! إنما جريمتي في ان ضعفى قد أخرنى عن أن أقوم بخدمة الام. ان هذا العقاب تنزله بى الآلهة . إنك لست بشيء سوى آلة فى يدها

غوفندا — تنفيذا لشرائعى سوف يذهب بك جنودى إلى المنفى ياراغوباتى ، حيث تمضى ثمانية أعوام من حياتك

راغوباتى — أيها الملك إنى لم أجث أمام مخلوق فان من قبل في حياتى . إنى برهمى. ان قصرك أضأل من قصرى وأدنى مكانة . غير انى أفزع اليك ، بكل خضوع أن تؤجل نفيى يوما واحدا

غوفندا — لقد أعطيت سؤالك

راغوباتى — (باستهزاء) أنت ملك الملوك . وما من شيء في هذه الدنيا يتساوى مع جلال قدرك ، سوى رحمة قلبك . بينما أجد نفسى كدودة حقيرة تدب فوق الثرى (يخرج)

غوفندا ـ اعترف بجريمتك يا نكشاترا !

نكشاترا ـ انى مجرم يامولاى . ولا أستطيع أن أطلب عفوك

غوفندا ـ إنى اعرف انك طيب القلب أيها الامير . فخبرنى من ذا الذى زودك بهذه النصيحة الفاسدة

نكشاترا ـ لست بذاكر أى اسم أيها الملك. إن الجريمة جريمتى وحدى . ولقد عفوت عن أخيك الاحمق اكثر من مرة ، وانه ليقف أمامك الآن يطلب عفوك مرة أخرى

غوفندا ـ نكشاترا ! قف واترك قدمى ، ان القاضى ما زال أشد تقيدا بالشرائع من اسيره الذى يقف بين يديه في موقف الاتهام

البطانة ـ تذكر يامولاى انه أخاك واعف عنه

غوفندا ـ يجب أن أتذكر أنى ملك . سيظل نكشاترا منفيا ثمانية أعوام فيذلك القصر الذى شيدته على ضفاف النهر المقدس خارج حدود تريبورا

(ويمسك يدى نكشاترا)

إن هذا العقاب لا ينزل بك وحدك يا أخى ، بل ينزل بي أيضاً . وانه لأشد وقعاً على لأنى لا أستطيع أن أشاركك فيه بجسمى . إن الفراغ الذى سوف تتركه في قصرى تحز ذكراه فى قلبى كل يوم ، وعسى أن تكون الآلهة اكثر حنواً عليك في منفاك ، منى عليك هنا بين أحضانى .

(يخرجون)

***

يدخل راغوباتى وجاسنج

راغوباتى — إن كبريائى تتمرغ فى أقذر حمأة . لقد دنست برهميتى . إنى لم أعد أستاذك بعد يا بنى . بالأمس كان لى الحق في أن أوجه إليك بأوامرى . واليوم أمت اليك أن تساعدنى . إن ذلك الضوء الذى كان ينير قلبى قد انطفأ . ذلك الضوء الذى كان يعطينى الحق في مقاومة سلطة الملك . إن الأنوار الارضية يمكن إشعالها مرة بعد أخرى ، أما النجم إذا فقد ضوءه ، فقد انقرض الى أبد

الا بدين . إن الأيام التي نقضيها في هـذه الحياة ، ذرة من هباء . إنها لأقل أعطيات الاله . ومع هذا فقد طلبت من الملك أن يهبني يوماً واحداً من أيامها جاثياً على ركبتي . ولسوف لا أترك هذا اليوم يمر عبثاً ويذهب سدى . فلأخضب جبين هذا اليوم بدم الملك القانى قبل أن تمر ساعاته .

لماذا لا تتكلم يا بنى ؟ أليس لى الحق في أن أطلب طاعتك وأنا فى مكان الأب منك ، ولو أنى فقدت الحق في أن أكون أستاذك ؟ أنا الذى لى عليك ما للآباء على أبنائهم . ألم أنشئك يتيما فقيراً ؟

إن الرجل الذى يستجدى الحب لأتعس المتسولين . ألا تزال صامتاً يابنى؟ إذن فلأجث أمامك على ركبتي . أنت يامن كان أقصر من ساقى طولا عندما أخذته في أحضانى .

جاسنج — ياأبت . لا تزد من وخزاتك المؤلمة فى جوانب قلب كسير . أما إذا كانت الآلهة عاطشة إلى دم ملكي ، فانى سوف آتيها به قبل أن يحل ظلام الليل . سأقوم بتأدية كل دينى وأدفع ما على . انتظر عودتى ، فانى سأرجع سريعاً

(يخرج) — عاصفة فى الخارج .

راغوباتى — لقد استيقظت أخيراً . لقد استيقظت الخيفة المرعبة . ان لعناتها تسير في ممرات القرية صاخبة غاضبة . إن المرعبات الجائعات يهززن أغصان الشجرة الدنيوية بكل ما لديهن من قوة وبطش ، حتى لتكاد النجوم أن تصعق الأرض انقضاضاً .

أيتها الأم . لماذا تتركين أبناءك تائهين في فلوات الشك مرغين فى حمأة الاحتقار طويلا ؟ لا تتركى لخادمك الضعيف أن يرفع سيفك في يده . ارفعى ساعدك القوى ليعمل عمله وينفذ الارادة القدسية .

إنى أسمع وقع أقدام .

***

تدخل أبارنا

أبارنا — أين جاسنج ؟

راغوباتى — إذهبى بعيداً أيتها الشؤم المجسم •

(تخرج أبارنا)

وماذا يكون العمل لو أن جاسنج لا يعود ثانية ؟ كلا • أنه لن ينقض عهده •

لك النصر أيتها العظيمة « قالى » • أنت يامن تمنحين الفخار والنجاح لمن يطلبه منك • ولـكن ما العمل لو عاقه عائق ، ماذا يكون لو قبض عليه العسس وأزهقوا روحه ؟

لك النصر يا إلهتنا اليقظة . يا أمنا القاهرة . لا تفقدينا الثقة بك، ولا تجعلى بسمات السخرية منك تنطبع على شفاه أعدائك •

أما إذا كان لزاما أن يفقد أولادك كبرياءهم ، ويعدموا ثقتهم بامهم العظمى ، وأن يحنوا رؤوسهم ذلة أمام الثائرين عليهم ، فمن ذا الذى يمد يده فى هذه الدنيا اليتيمة ليرفع أعلامك ، ويشيد بذكرك ؟

إنى أسمع وقع أقدام • ولـكن ! أهكذا سريعاً ؟ أهو عائد بعد أن أتم غرضه؟ كلا إن هذا غير ممكن . لماذا ؟ ان وقوع المعجزة لا يحتاج الى زمان محدود •

أيتها السيدة المتربعة على هامة الزمان ، يامن تفزعيننا بعقدك المحوك من الجماجم البشرية .

(يدخل جاسنج فى سرعة)

جاسنج أين الدم •

جاسنج — إنه معى • إمنحنى الحرية . دعنى أقدمه بنفسى

(ويدخل الهيكل)

أأنت فى حاجة إلى دم ملـكي ، أيتها الأم العظمى . أنت يامن ترضعين الدنيا وهي وعلى صدرك بلبان الحياة ؟ انى من سلالة ملوك كشاتريا !!! لقد تربع أسلافى فوق العروش ومنهم من شرع للناس وتحكم في رقابهم . إن في عروقى دما ملـكياً . خذيه إذن ، وردى عطشك إلى الأبد .

(يطعن نفسه بمدية ويسقط صريعاً)

راغوباتى — جاسنج ! يالك من قاس . يالك من قليل الوفاء . لقد ارتكبت

أشنع الجرائم . إنت قتلت أباك . أعف عنى يا جاسنج . عد ثانية الى قلبى ، فانك كنزه وسلوته . انى لأموت حيث مت .

* * *

تدخل أبارنا

أبارنا — ان هذا ليذهب عقلى ! أين جاسنج ؟ أين هو ؟

راغوباتى — يا أبارنا ، تقدمى يابنتى . أدع جاسنج بكل ما أوتيت من قوة الحب . أعيديه ثانية الى الحياة . خذيه لك ، واذهبى به بعيداً عنى . ولكن أعيدى اليه الحياة .

(تدخل أبارنا الى الهيكل وتسقط مغشياً عليها)

(راغوباتى ينطح أرض المعبد بمقدم رأسه)

— أعطينيه . رديه الى . أعيديه الى ثانية

(ويقف مخاطباً الصورة)

أنظروا كيف تقف هنالك ، تلك القطعة الصخرية الصماء العمياء الخرساء . كل الدنيا الحزينة تبكي عند بابها . وأنبل القلوب تندك محطمة تحت قدميها الحجريتين .

ردى على جاسنج .... كل هـذا عبث . ان صرخاتنا المزعجة الحزينة تمضى مع الريح تائهة فى خلاء اللا نهايه . في ذلك الخلاء الذى نحاول أن نملأه بأمثال هذه الأقانيم الصخريه .

لتذهب هذه الاحلام الفارغة الخاوية بعيداً عنا ، تلك الاحلام التى تستحجر فتصير صخراً ، ينوء باثقاله على كاهل الدنيا

(يلقى بالصورة إلى الأرض ويخرج إلى فناء المعبد)

* * *

تدخل جونافاتى

جونافاتى ـ لك النصر يا إلهتنا العظيمة . ولكن ! أين الآلهة ؟

راغوباتى ـ ليس هنا آلهة !

جونافاتی ـ أعدها ثانية يا أبت . لقد أحضرت اليها قربانانى . لقدحضرت أخيراً لاشبع جوعها ونهمتها بدم قلبى ؛ لتعرف أن الملكة صادقة الوعد ، باقية على العهد .

إرحمنى يا أبت وأعد الآلهة هذه الليلة . هذه الليلة فقط .

خبرنى أين هي ؟

راغوباتی ـ إنها ليست في مكان ! لا فى العلاء ، ولا في الحضيض .

جونافاتی ـ ألم تكن الآلهة هنا في المعبد ؟

راغوباتی ـ آلهة ! إذا كان في أطراف الدنيا آلهة حقاً وصدقاً ، فهل فى مستطاعها أن ترتكب كل هذه الموبقات لتلطخ اسمها بالعار .

جونافاتی ـ لا تؤذنى وتزيد ألمى . أصدقنى . ألا يوجد من آلهة ؟

راغوباتی ـ كلا . لا يوجد .

جونافاتی ـ إذن فمن كان هنا ؟

راغوباتی ـ لا شيء . لاشىء .

(تخرج أبارنا من الهيكل)

أبارنا ـ يا أبت !

راغوباتی ـ يا بنيتى العزيزة ! أتقولين يا أبت ؟ هل قلت هذا ؟ أتوبخيننى به ؟ هل خلف لى إبنى الذى قتلته الآن بيدى الآثمة هذا النداء الشهى وراءه ممثلا في نبرات صوتك الحزينة ؟

أبارنا ـ يا أبت ؟ أترك هذا المعبد . لنذهب بعيداً عن هنا .

* * *

يدخل الملك

غوفندا ـ أين الآلهة ؟

راغوباتی ـ الآلهة ليست في مكان !

غوفندا ـ ولكن دم من هذا ؟

راغوباتى ـ دم جاسنج أيها الملك ؟ جاسنج الذى أحبك وأخلص اليك • قد قتل نفسه •

غوفندا ـ قتل نفسه . ولماذا ؟

راغوباتى ـ ليقتل الاوهام،التى تمتص دم الحياة الانسانية

غوفندا انه لعظيم خالد . لقد غزى الموت وأذله.فلة تحياتى وعليه حزنى

جونافاتى ـ أيها الملك !

غوفندا ـ لبيك يا معبودى !

جونافاتى ـ إن الآلهة لم تعد كائنة بعد .

غوفندا ـ لقد فجرت هيكلها الصغرى ، وحلت ثانية فى قلب المرأة ،

أبارنا ـ تعال بـيداً .

راغوباتى ـ تعال يابنيتى . تعال ياأمى. لقد وجدتك . ‑أنت آخر ما بذل جاسنج ونهاية عطاياه ؟

(ويخرجون في خشوع)

برقين — ١٥ يناير سنه ١٩٢٧

الملك والملكة

الاهداء

الى مسز أرثر سيمور

« الملك والملكة احدى روايات طاغور التى قرأها الملايين من الناطقين بكل لغات الارض الحية . فقد ترجمت الى كثير من لغات أوروبا وا كثر لغات آسيا . وهى رواية تمثيلية تدعو الى الحرية، وتوحى الينا بأسرار الطبيعة الانسانية التى تنازع فيها المشاعر العقل ، وان هذا النزاع لابد من ان ينتهى بحقيقة هى تحرير ارواحنا من الاستعباد المادى والمعنوى . »

* * *

الملك والملكة

الفصل الأول

في حديقة القصر — الملك فكرام والملكة سومترا

فكرام — لماذا تأخرت عن القدوم الى الفيلا ياحبيبتى ؟

سومترا — ألا تعرف أيها الملك أنى لك وحدك من دون الناس أجمعين ، أينما كنت وحينما حللت ؟ وما أخرنى عنك الامنزلك وخدمتى فيه . تأخرت عنك بجسمى، ولو أنى معك بروحى .

فكرام — اتركي البيت وخدمته . إن قلبى لايستطيع أن ينفك عنك ليشغلك بدنياى . إنى أغار عليك من مطاليب الدنيا التى تكاد تسلبك منى .

سومترا — لا أيها الملك . ان لى منزلتى في قلبك كحبيبة ، وفى دنياك كملكة .

فكرام — واأسفاه أيتها العزيزة . أين ذهبت تلك الايام التى ملئت حبورا وجذلا ، عند ما التقينا لأول مرة، إذ كانت عين الدنيا عنا نائمة وسنانة ؟ ولم يكن لدينا سوى ذلك الخيط المضىء الذى أشع فى فجر ملاقاتنا فتغلغل خلال قلبينا في سكون وصمت ؟ لقد كان بين أجفانك وميض من الخجل العذب ، أشبه شيء بقطرات الندى إذ تقف حيرى على بتلات الزهرة ، و بين شفتيك

مخايل ابتسامة حلوة ، مايشبهها الامصباح ضئيل في ليل تتلاعب بالسنة نيرانه الرياح . وإني لأتذكر ضمات حبك الحارة ، عندما كان يفاجئنا الصباح بنوره فنضطر الى الافتراق ، وخطواتك المغتصبة المثقلة خمولا، حاملة ايك بعيداً عني هنة بعد هنة . أين كان اذ ذاك البيت وأين كانت خدمتـه ، وأين كانت واجبات هذه الدنيا ؟

سومترا — اننـا حينذاك لم نـكن أكثر من صبي وفتـاة . أما اليوم فالملك والملـكة .

فـكرام — الملك والملـكة ؟ أسماء مجردة . اننا أكثر من هذا . اننا عاشقين

سومترا — أنت ملـكي وزوجي . وأنا قانعة بأن أتبع خطواتك . لاتخجلني بأن توقفني حاسرة أمام جـلال ملـكيتك .

فـكرام — أوترفضين حبي ؟

سومترا — انما يكون حبك لي ثابتاً صحيحاً ، اذا أنت لم تذهب الى حد المبالغة والافراط . لان الحق من المستطاع أن يكون بسيطاً ساذجا .

فكرام — اني لااستطيع أن أفهم قلب المرأة .

سومترا — أيها الملك . انك اذا بذلت كل شيء تملـكه و بذرت فيه من أجلي ، فلا ريبة في أني سأحرم يوماً ما .

فـكرام — أيتها الملـكة . لاتفوهي بأكثر مما فهت به من هراء القول . ان عشوش الطير صامتة ساكنة لان الحب يرفّ عليها . فلتقف الشفاة على الشفاة رقيبة ، لئلا تستقوى عليها الـكلمات فتتحرك بها .

***

يدخل الخادم

الخـادم — ان الوزير بالباب يطلب مقابلة جلالتك ليعرض أمراً خطيراً يخص الدولة .

فـكرام — كلا . اصرفه الآن .

— يخرج الخادم —

سومترا — ياًمولاى . مره بالحضور .

فكرام — ان الدولة وشؤونها تستطيع الانتظار . أما ساعات الحظ فقليلا مايفرد هزارها . انها لساعات هشة كالازهار . أما إرجاء القيام بالواجب فجزء من الواجب نفسه .

سومترا — ياًمولاى . انى أفزع اليك أن تنصرف الى مهامك .

فكرام — أتعودين الى هذا أيتها المرأة القاسية . أتظنين انى أتبعك دائماً طمعاً في أن أنال رضاك غير المنال ، وان اتسقطه قطرة فقطرة ؟ فلا تركك اذن .

يخرج

***

يدخل ديفاداتا وهو برهمى صديق الملك .

سومترا — خبرنى ياسيدى عن حقيقة تلك الاصوات التى تتعالى من وراء بابنا .

ديفاداتا — هذه الاصوات ؟ مرينى وأنا بقوة الجند أطرد هذه الاصوات بعيدا عنكم . أصوات العراة يأكل البرد جسومهم ، والجوعى ينهش الجوع أحشاءهم .

سومترا — لاتهزأ بى . خبرنى ماذا حدث .

ديفاداتا — لاشيء . انه صوت الجوع لاشيء غيره . الجماهير جائعة من الفقر . وقطعان البرابرة الذين يكادون يموتون جوعا تصيح بأعلى أصواتها ، حيث أزعجت الطيور المطمئنة فى وكناتها على أشجار حديقتكم الملكية ، فحلقت في طباق الهواء فازعة مرعوبة .

سومترا — خبرنى ياأبت من هم الجائعون ؟

ديفاداتا — هذا من سوء حظهم . ان رعايا الملك الفقراء كانوا قانعين بأن يعيشوا منذ زمان طويل على نصف وجبة في اليوم ، ولكنهم لم يمرنوا بعد على أن يموتوا جوعاً . ان هذا لمنتهى الغرابة !

سومترا — ولكن ياأبت مالى أرى الارض تكسوها حقول القمح الناضج

فلاى شيء يموت رعايا الملك جوعا ؟

دايفاداتا — إن القمح لمن يملك الارض . انه ليس للفقراء المعدمين . أنهم كالكلاب الغريبة في عيد الملك ، تنزوى فى الاركان ، منتظرة اما فتاتا من الخبز واما لكزات قويه تسددها اليهم الاقدام .

سومترا — أمعنى هذا أن ليس فوق هذه الارض من ملك ؟

ديفاداتا — لاملك واحد ، بل مئات من الملوك .

سومترا — أليس عمال الملك أيقاظا ساهرين ؟

ايفاداتا — من في مستطاعه أن يلوم عمالكم ؟ انهم يفدون علينا من البلاد الاجنبية وهم في أشد حالات الخصاصة . فهل يعقل أنهم يعدون الى رعايا الملك بالرحمة أيد خاوية الوفاض ، بادية الانفاض ؟

سومترا — من بلاد أجنبية ؟ أم من أهلى ؟

ديفاداتا — نعم أيتها الملكة .

سومترا — ماذا تعلم عن جاسن .

ديفاداتا — انه يحكم مقاطعة سنجار بعناية فائقة ، حتى أن كل البقايا المكونة من غذاء وكساء ، قد أبعدت عن البلاد ، ولم يبق فيها الا الضرورات، من جلود تكسو العظام .

سومترا — وشيلا ؟

ديفاداتا — انه يعنى بالتجارة . أنه يكفى التجار مؤونة المشقة فى حمل أرباحهم ، فيرحمهم بأن يحمل العبء وحده على أكتافه الغليظة .

سومترا — وأجيت ؟

ديفاداتا ـ انه يعيش في فيايكوت . انه يبتسم ابتسامته الحلوة ، ثم يضرب الارض ومن عليها بيده الثقيلة ، وكل مالامسه من الحطام يجمعه بكل عناية .

سومترا ـ أى عار هذا ؟ يجب على أن أبعدهذا الوباء عن بلادى وأنجى شعبي . اتركني الآن فان الملك قادم .

يدخل الملك

سومترا ـ انى أعتبر من أفراد شعبى في مكان الام الرؤوم . ولذا لا أحتمل أن أسمع صرخاتهم . نجهم أيها الملك.

فكرام — أى شيء تريدين أن أفعل ؟

سومترا — ابعد عن أرضك الايدى التى تستبد بالشعب .

فكرام — أو تعلمين من هم ؟

سومترا — نعم أعرف .

فكرام ـ انهم أبناء أعمامك .

سومترا ـ أنهم ليسوا بأحب الى من شعبى . انهم لصوص ، يتوارون وراء عرشك ، ليسلبوا ضحاياهم في الظلام .

فكرام ـ أنهم چاسن وشيلا وأچيت .

سومترا ـ يجب أن تتخلص منهم بلادى .

فكرام ـ انهم لايخرجون الا بالحرب .

سومترا ـ إذن حاربهم يامولاى .

فكرام ـ أحارب ؟ انى أحاول أن أغزوك أنت أولا ثم أغزو أعدائى .

سومترا ـ اسمح لى يامولاى بصفتى ملكة هذه البلاد أن أنقذ الشعب بنفسى .

ـ تخرج ـ

فكرام — هكذا تملئين قلبى حيرة وارتباكا . أنت تجلسين هنالك على عرش عظمتك، حيث لا أستطيع أن أصل اليك . أنت تذهبين لتقومى بواجب الخدمة لآلهتك ، وعبثاً كل ماانفق بحثاً عنك وتنقيباً.

* * *

يدخل ديفادلتا

أين الملكة يامولاى ؟ لماذا أنت منفرد ؟

فكرام — أيها البرهمى . هذه هى مؤامرتك : أأنت تأتى الى هنا لتحدث الملكة عن شؤون الدولة ؟

ديفاداتا ـ ان الدول تحدث عن أخبارها بتلك الصرخات العالية التى طرقت

أذنى الملكة . لقد وقعت الدولة في مأزق يخشى أن تتحرج من بعدالحوادث حتى لقد تذهب بهنائك وراحتك .

لاتخف منى أيها الملك . لقد أتيت هنا لاسأل الملكة أن تؤدى الى إتاوتى البرهمية . فان زوجي فى حرج لانها بغير مؤونة . وفى البيت جملة من الاحشاء الخاوية .

(يخرج)

فكرام ـ انى لاتمنى كل سعادة لشعبي . لماذا تكون آلام ؟ ولماذا يكون ظلم ؟ ولأى شيء يلقى الاقوياء بنظراتهم النارية على مابين يدى الضعيف المستكين من حاجات قليلة .

(يدخل الوزير)

مر بنفى كل هؤلاء اللصوص الاجانب من مملكتى في هذه الساعة . إنى لا احتمل أن أسمع صياح المظلومين يملأ جوانب الفضاء مرة أخرى :

الوزير ـ أيها الملك . انك لاتستطيع أن تقتلع جذور الرذائل التى نمت وتشعبت مع مضى الزمان في يوم واحد .

فكرام ـ أضرب في أصولها بقوة و بأس ، واقطعها بفأسك الحادة فى يوم واحد . استأصل تلك الشجرة الخبيثة التى أخذت في النمو منذ مائة عام مضين.

الوزير ـ اننا فى احتياج الى سلاح وجند .

فكرام ـ اين قائد زحفى ؟

الوزير ـ انه اجنبى مثلهم .

فكرام ـ اذن فادع الجائعين . افتح خزائنى . قف هذه الصرخات بالغذاء ، وارسلهم الى حيث يشاؤون بالمال . اعطهم كل ملكي ان ارادوه ولكن ليأخذوه فى سلام . وليكونوا سعداء .

(يخرج)

*

* *

(تدخل سومترا وديفاداتا)

الوزير - تقبلي تحياتي وخضوعي يامولاتي .

الملكة — اننا لانستطيع ان نترك الشقاء يكتسح بلادنا من غير ان نحاول صد تياره .

الوزير — ماهي اوامرك يامولاتي .

الملكة — ادع باسمي كل الحكام الاجانب بأسرع مافي مستطاعك .

الوزير — لقد فعلت ذلك . لقد أخذت على عاتقي أن ادعوهم الى العاصمة باسم الملك من غير أن احصل على إجازة منه ، لاني خشيت أن يرفضوا طلبي .

الملكة — متى أرسلت اليهم رسلك؟

الوزير — عما قليل يوافي شهراً من الزمان . واني انتظر اجوبتهم بين ساعة وأخرى : ولكن اخشى أن لايجيبوا دعوتي .

الملكة — لايجيبون دعوة الملك ؟

ديفاداتا — لقد اصبح الملك في نظرهم عبارة عن اشاعة خيالية ، قد يصدقون وجود حقيقة لها أو لا يصدقون ، حسب ماتتجه إرادتهم .

الملكة — اعد جندك واجعله على استعداد أيها الوزير عند مقدم هؤلاء القوم . ولسوف استجوبهم بنفسي باعتبارهم من أهلي ودمي .

(يخرج الوزير)

ديفاداتا — انهم ليسوا بقادمين ايتها الملكة

الملكة — اذن فسوف يحار بهم الملك .

ديفاداتا — والملك سوف لايحارب .

الملكة — احار بهم أنا .

ديفاداتا — انت ؟

الملكة — سأذهب الى اخي كومارسن ملك كشمير وبمساعدته احارب هؤلاء الثوار الذين هم لعنة على كشمير وسيئة لها .

ساعدني يأبت على الفرار من هذه المملكة وقم بواجبك ، اذا ما تحرجت

الحال وبلغ السيل الزبى .

ديفاداتا — يأم الشعب الرؤوم . لك منى التحية والسلام .

(يخرج)

* * *

يدخل فكرام

فكرام — لماذا تذهبين بعيداً عنى ايتها الملكة ؟ إن صبابتى الحارة قد سفرت لك عارية فى حلل الفقر والحاجة . فهل لهذا تلوين بوجهك عنى استهزاء وسخرية ؟

سومترا — انى لاشعر باشد الخجل إذ أتصور انى بمفردى املك قلبك في حين أنه ملك لكل الناس .

فكرام — أحق أيتها الملكة أنك تقفين على قمة استعلائك الشامخة بينما ارى نفسى زاحفا فوق الثرى فى استكانة وذل ؟ كلا فانى اعرف قوتى وبطشي. إن في طبيعتى عنصرا لا يمكن أن يذل ويخضع للقوة .وهذا العنصر قد تحول فى قلبي حباً محترماً

سومترا — ابغضنى أيها الملك ابغضنى . انسنى وامح من قلبك ذكرى . انى استطيع أن احتمل هذا بشجاعة . ولكن لا تحطم جلال رجولتك أمام مفاتن امرأة .

فكرام — أمثل هذا الحب ، يقابل بمثل هذا الكفران ؟ ان فتورك وقلة اكتراثك كمدية حادة تقطع في جنبات صدرى لتترك الحب الدامى عاريا بغير حجاب . ومن بعد تلقى به الى حضيض الثرى .

سومترا — انى أعفر وجهى تحت قدميك ياحبيبى. ألم تعف المملكتك مرة بعد أخرى عن اخطاء ارتكبتها ؟ فلماذ اذن كل هذا الغضب في موقف انا فيه غير ملومة ؟

فكرام — انهضى ياحبيبتى : وحلى في قلبى لتحولى بين حياتى وبين كل الاشياء الاخرى لحظة واحدة ، وحوطى بذراعيك عالماً هو لك وحدك ملك

لاشريك لك فيه .

* * *

(يسمع صوت فى الخارج)

ايتها الملكة !!!

سومترا — انه ديفاداتا ـ . لبيك ياأبت . اية رسالة تحمل الى ؟

يدخل ديفاداتا

ديفاداتا لقد عصوا أوامر الملك ! عصبة حكام الاقاليم الاجانب . وهم الآن يتأهبون للثورة .

سومترا — اسمعت ايها الملك ؟

فكرام — ايها البرهمى . ان حديقة القصر ليست دارا لمجلس الشورى .

ديفاداتا — يامولاى . اننا قليلا مانرى ملكنا في دارمجلس الشورى ، لان ذلك المجلس ليس له من مكان في حديقة القصر .

الملكة — هذه الكلاب التاعسة التى تورمت سمنا بما كان يلقى اليهم من بقايا مائدة الملك ! أيجروؤن ولو حالمين أن ينبحوا فى وجه سيدهم ؟

ايها الملك : أهذا هو الوقت الذى يجب عليك فيه أن تعالج الامر في مجلس الشورى ؟ اليس الطريق ممهوداً جلياً امامك ؟ اذهب بكامل زحفك وحطم هذه الحشرات تحطيما .

فكرام — ولكن قائد زحفنا أجنبى .

الملكة — اذهب بنفسك اذن .

فكرام — أأنا فى هذه الدنيا الوحيدة أيتها الملكة ؟ أأنا الحلم المفزع والشوكة الحادة التى تؤلم قلبك ؟ كلا . فلست بتارك هذا المكان أبداً . بل ساعرض عليهم شروط الصلح والسلام . من هوذا الذى سبب كل هذه الكوارث ؟ البرهمى والمرأة. تآمرا ليوقظا الافعى الواسنة في وكرها . فان كل الذين يعجزون لضعفهم عن ان يدافعوا عن أنفسهم ، يكونون عادة اقل الناس تفكيرا فيما يسببون من كوارث لغيرهم.

الملكة — يالك من بلاد تعيسة سيئة الحظ . ويالها من امرأة عاثرة الجد، ملكة هذه البلاد .

فكرام — الى أين انت ذاهبة ؟

الملكة — ساغادر مثواك .

فكرام — أتتركينني ؟

الملكة — نعم ذاهبة بنفسي لاحارب الثوار .

فكرام — ايتها المرأة ؟ اتسخرين منى ؟

الملكة — الوداع . الوداع

الملك — كلا فلست بتاركتى . أتجرئين على هذا ؟

الملكة — انى لاأستطيع أن أظل بجانبك اذا كان قربى منك يوهن عزمك و يوهي جلدك :

الملك — أذهبى أيتها المرأة المتكبرة . اذهبي فلست بسائلك العودة ثانية . ولكن لاتنتظرى اية مساعدة منى .

ديفاداتا — أيها الملك . اتتركها تذهب بمفردها ؟

الملك — انها لن تذهب . فلست بمصدق ماتقول

ديفادتا — أظن أنها جادة غيرهازلة

الملك — هذه مخادعها النسائية . انها تهددنى بينما تريد أن تقذف بى فى معامع الحروب . انى أكره وسائلها . يجب أن لاتظن ان في مستطاعها أن تتلاعب بى من طريق حبى لها .

آه ياصديقى . أهو لزام أن أتلقى درسا جديدا اعرف به أن الحب لايجب أن يكون لملك ؟ وأن أتلقى هذا الدرس من امرأة أحبها ذلك الحب الحار الذى خبأته لى الاقدار ؟

ديفاداتا ! لقد نشأت وربيت معى منذ الحداثة . ألا تستطيع أن تنسى برهة انى ملك ، وأنى بشر له قلب يعرف الالم كيف يكون ؟

ديفاداتا — أن قلبي قلبك ياصديقي . وانه لكامل الأهبة لان يتلقي

حبك ، كما يتلقى غضبك .

الملك — اذن فلماذا تجر الافعى الى عشى الساكن ؟

ديفاداتا — ان بيتك كانت تندلع فيه السنة اللهب . ولم افعل من شيء سوى أنى نقلت الاخبار ، وأيقظتك من سباتك العميق . فهل ألام من أجل هذا ؟

الملك — ما هى الفائدة فى أن توقظنى ؟ اذا كان كل ما حولى مجرد احلام ، فدعنى أختار منها حلما قصيرا لذيذاً ، ومن ثم أموت . خمسون عاما طوالا قضيتها! فمن ذا الذى يتذكر مسرات تلك الفترة وأحزانها ؟

اذهب . اذهب يا ديفاداتا ، واتركنى وحيدا غارقا في وحدتى الملكية الاليمة .

يدخل احد رجال البطانة وهو اجنبي

الرجل — انا نستجدى العدل من يديك أيها الملك . نحن الذين قدمنا الى هذه البلاد مع الملكة .

الملك — العدل في أى شيء ؟

الرجل — لقد سمعنا أن وشايات القيت اليك ، لا لسبب الا لاننا أجانب عن هذه البلاد يا مولاى .

الملك — من ذا الذى يعرف أن هذه الوشايات غير صحيحة ؟ ولكن الا تستطيعون أن تظلوا صامتين بلا جلبة ما دمتم تتمتعون بثقتى ؟ هل وجهت اليكم يوما بسبة تعبر عن شكوكي فيكم ؟ تلك الشكوك التى تربى كالديدان فى قلوب الجبناء ؟

لست أخشى الخيانة لانى أستطيع ان أسحقها تحت قدمى . ولكن الذى اخشاه هو أن اغذى الدنايا فتزكو فى طيات عقلى

اذهب الآن واتركنى

يخرج رجل البطانة

*

* *

يدخل الوزير وديفاداتا

الوزير — مولاى . لقد تركت الملكة القصر ممتطية جوادا.

الملك — ماذا تقول ؟ أتركت قصرى ؟

الوزير — نعم أيها الملك .

الملك — لماذا لم تمنعها ؟

الوزير — لقد سافرت سرا .

الملك — من ذا الذى زودك بهذا الخبر ؟

الوزير — الكاهن . لانه رآها ممتطية صهوة الجواد أمام بناء الهيكل.

الملك — أرسل فى طلبه .

الوزير — يامولاى . انها لن تكون بعيدة من هذا . انها غادرت القصر منذ هنيهة . وانك تستطيع أن تلحق بها فترجعها .

الملك — ان رجوعها ليس بذى بال . أما الحقيقة المؤلمة ، فانها تركتنى . تركتنى !

اتعجز كل جنود الملك ومعاقله ، وكل سجونه واصفاده الحديدية عن أن تربط الى جانبه قلب امرأة ضعيف واهي القوى ؟

الوزير — وأسفا أيها الملك. ان المثالب كالفيضان عند ماتكسر السدود فينقض من كل مكان .

الملك — مثالب ؟ فلتجف السنة الخلق بما فيها من سم .

ديفاداتا — في أيام الكسوف يجرأ الناس على أن ينظروا من خلال القطع الزجاجية المسودة بالهباب الى نور الشمس العظيمة فى رائعة النهار .

أيتها الملكة العظيمة. أهكذا يلوث اسمك الكريم ملوكا في الالسنة منتقلا من فم الى فم ؟ ولكن كنى بضوئك الكبير منارا يمحوا المثالب ، كما يمحو النهار آية الليل .

الملك — احضر الكاهن الى .

(يخرج الوزير)

ومع هذا أستطيع أن اقتص أثرها وارجعها الى حظيرتى ثانية .ولكن . أهذا

واجبى المؤبد ؟ أواجبى محصور فى ان أمضى باحثا وراء القلب الثائر كلما تركنى ومضى ؟

اذهبى ايتها المرأة . ليلا ونهارا . اذهبى وكونى بلا سكن ولا حب ، ولا راحة ولا سلام .

(يدخل الكاهن)

اذهب . اذهب . لقد سمعت ما يكفى . ولاأود أن أعرف أكثر مما عرفت

(يتأهب الكاهن للخروج)

عد الى . خبرنى : هل أتت الى الهيكل لتصلى وعينيها غارقتين فى الدموع ؟

الكاهن — كلا يامولاى . لحظة واحدة ، أوقفت فيها حصانها ثم ترجلت مولية بوجهها شطر الهيكل حانية رأسها ، ثم امتطت الجواد فمرق بها مروق البرق الخاطف . انى لا أستطيع أن أعرف اذا كانت الدموع قد بللت عينيها . فان النور داخل الهيكل كان ضعيفا .

الملك — الدموع فى عينيها . انك لاتقدر أن تتصور مقدار ما في هذا من خطورة ؟ كفى ! اذهب

(يخرج الكاهن)

ياالهى — انك لخبير من يعرف ان كل ما آتيتها من شر انى أحببتها . وكنت على استعداد لان اضحى أخراى ودنياى فى سبيل حبها . ولكن الآخرة تخوننى وكذلك الدنيا !! كلا . لم يخن سواها .

***

(يدخل الوزير)

الوزير — مولاى لقد أرسلت فرسانا يتعقبونها .

الملك — استدعهم ثانية . لقد انقضت الاحلام . اين يمكن ان يعثر بها فرسانك ؟ جهز زحفى . فانى سأذهب بنفسى لاطفىء الثورة القائمة .

الوزير — أمرك أيها الملك

(يخرج)

فكرام ـ ديفاداتا ! ! ! لماذا تجلس صامتا حزينا ؟ لقد فر اللص بالغنيمة وأنا الآن افك قيودى واستعيد حريتى . ان هذه لساعة حبور وجذل .

خطأ خطأ كل كأنى ياصديق • فان الالم ينحر قلبى •

ديفاداتا ـ ليس لديك وقت للألم ولا للحب الآن • يجب ان تفيض حياتك كلها في سبيل العمل ، وان تحمل قلبك الملكي بين جوانبك الى حيث يلقى غزوته الكبرى •

فكرام ـ ولكن قلبى لم يخلص تماما من اصفاده • انى لا أزال اعتقد انها سوف ترجع الى ثانية ، عند ما تجد ان الدنيا ليست لها فى مكان العاشق المحب وان قلب الرجل هو المكان الاوحد الذى تلجأ اليه المرأة • سوف تعرف كيف تكون نتائج عملها ، عند ماتنشد الحب فلا تجده • ولسوف يبسم زمانى ، عند ماتفارقها الكبرياء ، وتعود الى ، فتبدأ تتودد لى بغيرتها الحارة •

*

* *

(يدخل الخادم)

الخادم ـ خطاب من الملكة

يعطيه الكتاب ويخرج

الملك ـ انها بدأت تستغفر سريعاً •

(يقرأ الخطاب)

هذا لاغيره .سطران فقط لتخبرنى بانها ذاهبة الى أخيها في كشمير ، لتسأله ان يعضدها فى اطفاء نار الثورة التى تكتسح بلادى• انهذه لاهانة ! انهالمسبة ! أعون من كشمير !!!

ديفاداتا ـ لاتضع وقتك في ان تخيب ظنها ـ وليكن هذا انتقامك منها•

الملك ـ انتقامي.سوف تعرفه !

الفصل الثانى

سرادق فى كشمير

فكرام وقائد الجيش

القائد — تقبل عذرى يامولاى فى أن ألقى اليك بنصيحة فيها لمملكتك فائدة .

فكرام — تكلم

القائد — لقد اطفئت نيران الثورة فى بلادنا. والثائرون أنفسهم يحاربون فى صفوفك. فلماذا نهك قوانا وننفق وقتنا فى كشمير ، بينما مصالح دولتك تتطلب وجودك في عاصمتها ؟

فكرام — ان الحرب لم تنته هنا بعد.

القائد — ولكن كومارسن، أخا الملكة ، قد عوقب العقاب الكافى جزاء تهور أخته . فلقد تشتت جيشه . واختفى هو مختبئاً يطلب النجاة بحياته، في حين أن عمه شندراسن يتطلع بشغف الى العرش الخالى . نصبه ملكا . واترك هذه البلاد التعيسة ليرف على ربوعها السلام.

فكرام — إنى ما أتيت هنا لاعاقب ، بل لاحارب . لقد أصبحت الحرب عندى كلوحة المصور . يجب أن أضيف اليها خطا هنا ، وخطاً هنالك ، وأنمقها بالالوان الزاهية، وازيدها كمالا يوما بعد يوم. ان عقلى ليزداد إكبابا عليها حالا بعد حال ، كلما اتضحت صورها وقاربت النهاية. ولسوف اتركها متنهداً تنهدة الاسف عند ما اتمها .

ان التخريب والهدم من موادها الاولية، التى سوف تستمد منها ما تستكمل به صورتها . انها فن وابداع. وانها فوق ذلك جميلة كباقات زهر «البلاش» الحمراء ، التى تلوح من روعتها كثورة الخمار في رؤوس السكارى، فى حين أن كل زهرة منها تعبر عن كامل الوداعة وحسن الصورة .

القائد — مولاى . ان هذه حال ليس من المستطاع استمرارها . ان لديك واجبات اخرى. فان الوزير قد بعث إلى بالرسالة تلو الرسالة، يسألنى أن أساعدك على فهم

حقيقة الحال وكيف أن هذه الحرب تجر الخراب والدمار على بلادك

فكرام — انى لا أستطيع أن أرى في الدنيا من شيء ،سوى هذه الاشياء التى تزهو وتنمو بين يدى. ،وسيقى السيوف!وتلك الملاحم الكبيرة التى تضغط على صدرك بشدة كضمات الحب الحار. اذهب اليها القائد . فان لديك أعمالا أخرى يجب عليك القيام بها. ان نصائحك لتزداد اشعاعا على ظباة سيفك .

يخرج القائد

ان هذا لتحرير للنفس وعتق لها. ان الاستعباد قد فرهاربا من ذات نفسه ، تاركا الاسير حرا. ان الانتقام لاقوى نزوة فى ارأس من خمر الحب النقى. الانتقام هو الحرية. هو عتق من العواطف والشهوات.

***

يدخل القائد

القائد — أرى عربة قادمة نحو السرادق . فلعلها تحمل رسولا يعرض علينا شروط السلم ـ وليس وراءها رهط من الجند المسلح .

الملك ـ السلم يجب ان يتبع الحرب .غير ان وقته لم يحن بعد .

القائد ـ لنسمع ما يقول الرسول اولا ـ ثم ....

الملك ـ ثم نستمر في الحرب.

***

يدخل جندى

الجندى ـ لقد حضرت الملكة وهي تطلب أن تتحدث اليك .

فكرام ـ ماذا تقول ؟

الجندى ـ حضرت الملكه .

فكرام ـ أية ملكة ؟

الجندى ـ الملكة سومترا !!!

فكرام ـ اذهب أيها القائد وانظر من القادم .

يخرج القائد والجندى

الملك ـ هذه هي ثالث مرة قدمت الى محاولة أن تبعدني عن هذه البلاد منذ أعلنت الحرب في كشمير. وهذه هي ثالث مرة أردها خائبة. ولكن هذه ليست احلاما، انها مواقع دموية.

ليست هي احلام في سنة استيقظ بعدها لأجد نفسي في قصري وحديقتي وأزهاري ومملكتي، وتلك الايام الطويلة التي كنت أقضيها متنهدا مصعدا الزفرات، مع قصر فترات اللذة التي كنت أشعر بها.

كلا. وألف مرة كلا. لقد أتت لتأسرني مرة ثانية. أتت لتنتزعني من ميدان الحرب غنيمة تعود بها الى ردهة القصر. ان قبضها على الصواعق لاقرب اليها من هذا.

(يدخل القائد)

القائد — نعم يامولاي. انها مليكتنا وتريد أن تراك. وان قلبي ليتصدع اذ لا أجد في استطاعتي أن أتركها تدخل اليك بكامل حريتها.

الملك — ليس هذا هو الوقت ولا المكان الذي أستطيع أن أقابل فيه امرأة.

القائد — ولكن ! يامولاي.

الملك — كلا. كلا. أصدر أوامرك للحراس بأن يكونوا على أتم الأهبة في قيامهم على حراسة سرادقي. لا من الاعداء، ولكن من النساء.

(يخرج القائد)

***

(يدخل شنكر)

شنكر — أنا شنكر. خادم الملك كومارسن. ولقد احتفظت بي أسيراً في معسكرك.

الملك — نعم أعرفك.

شنكر — ان مليكتك تنتظر خارج هذا السرادق.

الملك ـ سوف تنتظرني في مكان أبعد من هذا كثيراً.

شنكر ـ انى لاشعر باشد الخجل اذ أقول أنها قدمت اليك في أشد حالات التواضع والخضوع لتسألك العفو والمغفرة . واذا تعذر عليها أن تنال هذا ، فلتوفى ماتستحق من عقاب بين يديك. انها تعترف بأنها هى وحدها الملومة ، وعليها تقع كل المسؤوليات . لقد أتت تسألك بكل ماهو لديك مقدس عزيز، أن تترك أخاها ومملكتة .

الملك ـ ولكن يجب أن تعرف أيها الشيخ أنه حرب عوان ، وأن هذا الحرب قائم ضد اخيها ، وليس ضدها . وليس لدى من وقت انفقه فى مناقشة ظروف الحال وتعرف وجوه الخطأ فيها من وجوه الصواب مع امرأة . غير انك كرجل ينبغي لك ان تعرف ان الحرب اذا اشتعلت نيرانها مرة ، سواء أكان ذلك خطأ ام صوابا ، فان كبرياءنا هى التى توجب علينا ان نمضى فيها حتى النهاية ، مهما كانت العواقب .

شنكر ـ ولكن الا تعلم يامولاى انك انما تقوم بالحرب ضد امرأة وانها فوق ذلك ملكتك ؟ ان ملكنا لم يفعل من شيء سوى أنه نصرها لأنه اخاها. وانى لا اجرأ بعد هذا ان اسألك امن شيم الملوك أم من خلال الرجولة ان ينفخ الانسان في خلاف عائلى كبره الوهم وضخمه الخيال ، حتى تكبر فقاقيعه فتنفجر عن حرب دموية تجتاح الممالك وتدك الدول ؟

الملك ـ خذ حذرك ايها الشيخ فان لسانك قد بدأ ان يكون خطراً عليك. ويمكنك مع هذا ان تقول للملكة باسمى اذا سلم اخوها كومارسن نفسه واعترف بالهزيمة ، فهنالك نستطيع ان نتكلم فى مسألة العفو .

شنكر ـ ان ذلك مستحيل ، كما يستحيل على شمس الصباح أن تقبل تراب الافق الغربى . فانى اعرف ان ملكي لن يسلم نفسه حيا بين يديك . كما ان اخته لن تسمح به مهما تنكرت الحوادث.

فكرام ـ اذن فالحرب سجال . ولكن الا تظن ان الشجاعة تمسك عن أن تكون شجاعة بمعناها الصحيح عند حد تبلغه الحالات من الحرج ، فتصبح تهوراً

وحقاً ؟ ان ملكك لن يفر من بين براثني . لقد احطت به من كل الجهات ، وانه يعرف ذلك .

شنكر ـ نعم انه يعرف هذا . ويعرف ايضاً ان هنالك فجوة كبرى في السياج .

الملك ـ ماذا تعنى ؟

شنكر — اعنى الموت، باب النصر والفخار الذى سوف يلجه فارا من بين يديك. هذا اذا لم تخنى فيه فراستى . وهنالك ينتظرك انتقامه

(يخرج)

* * *

(يدخل خادم)

الخادم ـ مولاى . بالباب شندراسن وريفاتى ، عم كومارسن وزوجته يطلبان المثول بين يديك .

الملك ـ أدخلهما .

(يدخل شندارسن وريفاتى)

الملك — تقبلا احترامى .

شندراسن — أعطيت الملك وطول العمر .

ريفاتى — وكذلك النصر والفخار

شندراسن — اى عقاب فرضت عليه ؟

الملك — اذا سلم نفسه فانى اعفو عنه

ريفاتى — هذا وحده ، لاشيء . أذا كان ثمة عفو منتظر ، فلم كل هذه الاستعدادات ؟ ان الملوك ليسوا صبياناً كبار الأجسام، والحرب ليست من الاعيب الاطفال

فكرام — لم يكن السلب من غرضى ، بل كان مرامى أن أحامى عن شرفى فان الرأس الذى يحمل التاج لايحمل الاهانة .

شندراسن — أعف عنه يابنى . لانه لم ينضج بعد ، لامن ناحية الحكمة ولامن

ناحية العمر .قد تمنع عنه حقه في العرش، او تنفيه من البلاد ، ولـكن أترك حياته

الملك — مافكرت مطلقا في أن أحرمه الحياة .

ريفانى — إذن فلماذا مثل هذا الجيش والسلاح ؟ إنك الآن إنما تقتل الجند الذين لم يضروك بشيء ، في حين أنك تترك الجانى !

فكرام — انى لا افقه ماتقولين .

شندراسن — لاشيء . انها ناقمة على كومارسن لانه أوقع البلاد في هذا الاضطراب ، ولانه اثار غضبك علينا ، وأنت أقرب من يمت لنا بقرابة

فكرام — سوف يأخذ العدل معه مجراه عندما يقع أسيرا .

ريفانى — لقد أتينا لنؤكد لك بأننا لا نتستر عليه حذر أن تأخذك من ناحيتنا الشكوك . ان الشعب هو الذى يخبئه . أحرق محصولاتهم وقراهم . ونؤ عليهم بالجوع ، وهم لا محالة مخرجونه اليك

شندراسن — ترفقي — زوجتى ترفقي . احضر الى القصر يابنى ، فان كشمير كلها في انتظار مقدمك

الملك — اذهبا الي هنالك الآن وسوف اتبعكما

(يخرجان)

يالك من لسان مندلع من نار جهنم الحمراء . ذلك هو الطمع والحقد ينبعثان من قلب المرأة

هل رأيت صورة وجهى منطبعة فى وجهها ؟ ياعجبا . اترتسم على جبينى مثل هذه الصور ؟ أو تلوح على وجهى آثار تلك الحروق الجهنمية التى تطبعها تلك النار الخفية ؟ وشفتاى ، هل احدودبتا فى ضمور كما رأيت شفتيها فكانتا كمدية القاتل الاثيم ؟

كلا ان شهوتى قد انحصرت في الحرب — . لم يكن بى نهمة الى الطمع ولا نزعة الى القسوة

انما نار الحب كنار الحرب لا تعرف قيداً ولا ترضخ لقانون ولا تحسب لبذل حساباً . انها نار تأكل بعضها بل وجميع ما تامس ، فيتحول الكل إما الى لهب ، واما الى رماد .

***

(يدخل الخادم)

الخادم — لقد قدم البرهمى ديفاداتا وهو يرغب فى المثول لديك

الملك ـ ديفاداتا ؟ احضره . كلا . كلا. قف دعنى افكر قليلا فتى اعرفه . لقد حضر لينتشلنى من ميدان الحرب

أيها البرهمى ! لقد الغمت شواطىء النهر بمفرقعاتك . والآن ! لما انسابت المياه ، اتيت لتقف بين يدى في خضوع وخشية تسألنى أن تروى حقولك ، ثم ترجع من حيث أتيت . ولكن الاتخشى ان يفيض الماء فيكتسح بيوتكم ويحطم البلاد ؟

إن جذل هذه المفزعات اعمى . انه قصير البقاء ، ولهذا يجب ان يجمع غنائمه سريعاً ، ويحصدها وشيكا ، كفيل جن جنونا ، فيقتلع نبات النيلوفر الجميل من اعماق البرك الراكدة .

سوف يأتى وقت تصلح فيه النصيحة الصادقة ، بعد ان تضمحل القوى وتنهك السواعد .

كلا . لا اريد ان ارى البرهمى .

***

(يدخل أمارو فارس التلال فى تريشور)

امارو ـ يامولاى . لقد حضرت الى ساحتك كامرك ، معلنا ان ليس لى ملك سواك .

الملك ـ أأنت فارس هذا المكان ورئيسه ؟

امارو ـ نعم فارس تريشور . وانت ملك الملوك وانا عبدك الخاضع. إن لى ابنة اسمها إيلا . وهي لاتزال حديثة السن ، وعلى جانب من الجمال عظيم . ولا يسبق الى حدسى انى اخدعك اذا قلت لك بانها بجديرة بك . انها تنتظر في الخارج . إسمح لى ايها الملك ان ارسل اليك بها كاحسن هدية تعبر بها هذه الارض الفائضة بالازهار عن شكرها .

***

(تدخل ايلا و وصيفتها)

الملك ـ آه . هاهي قادمة . كفجأة الفجر الوضاح فى اللحظة التى تسبق انبثاقه اذ تلوح كأنها ليل أليل. تقدمى ايتها العذراء • فانك قد نسيت ان هذا الميدان ميدان حرب • ان كشمير قد سددت الى سهمها الصائب . ولكن فى النهاية ليخترق قلب آلهة الحرب

لقد جعلتنى اشعر كأن عينى قد مضتا تبحثان في قفر الوجود ، حتى سقطتا على ما كانتا تطلبان • ولكن لماذا تقفين في هذا الصمت، منكسة الرأس ؟ وكأنى أرى رجفة من الالم تهز من شدتها اطرافك الجميلة •

(ايلا راكعة)

إيلا ـ لقد سمعت بانك ملك عظيم • فاسمح لى ان اصلى صلاتى

الملك ـ انهضى ايتها العذراء الجميلة . ان هذه الارض غير خليقة بان تمسها قدماك • لماذا تركعين في التراب ؟ فليس فى هذه الدنيا من شىء انا عاجز عن ان اهبك اياه .

إيلا ـ لقد وهبنى ابى اليك ولكن أمت اليك ان تفك اسارى وترجعنى الى حيث كنت . ان لك ثروة لايحصرها وهم ، واملاك لا تحدها التخوم . فاذهب واتركنى فى التراب . فليس في هذه لدنيا من شىء أنت في حاجة اليه .

الملك — اصحيح ان ليس في هذه الدنيا من شيء انا في حاجة اليه ؟ كيف أقدر على أن اكشف لك عن قلبى ؟ اين هي الثروة ؟ اين هى الاملاك الشاسعة ؟ كل هذا فراغ بلا نهاية • فلو لم يكن لى دولة وملك ، و بقيت أنت وحدك .....

ايلا — اذن فانتزع حياتى اولا من بين جنبى ، كما تنزع حياة غزال الغابة المتوحش ، مخترقا قبلة بسهامك المسددة .

الملك —ولكن لماذا يا إبنتى • ولاى شيء كل هذا الامتهان ؟ الست جديراً بك ؟ لقد غزوت ممالك ودولات بقوة سلاحى وعددى ؟ • أأعجز عن أن آمل أن اتوسل الى قلبك فى ان يكون لى •

إيلا — ولكن قلبي ليس لى . لقد وهبتة لشخص تركته منذ أشهر ، ونحن على وعد بأن يعود ثانية الى حيث نتقابل تحت ظلال غابتنا القديمة . فالايام تمر وانا على حر الانتظار ، حتى لقد بدأ سكون الغابة أن يكون ممضاً . فاذا لم يجدنى عندما يقفل راجعاً !!! واذا لم يعد أبدا و بقيت ظلال الغابة تنتظر تلك الساعة التى سوف يتم فيها لقاء الحب الذى لن يتحقق الى الابد !!!

أيها الملك ، لاتنتزعنى من وكنى. اتركنى له. ذاك الذى تركنى ليعود فيلقانى

فكرام — ما أسعد ذاك الرجل .

ولكن احذرك ايتها الفتاة، فان الآلهة غيرى من حب البشر. أنصتى واسمعى سرى . لقد مر على حين من الدهر تركت فيه الدنيا وما فيها ، ماعدا الحب. ولما صحوت من حلمى ، وجدت ان الدنيا وحدها كائنة ، وأن الحب هو الذى انفجر كفقاعة من الماء .

ما اسم ذاك الذى تنتظرين ؟

إيلا — انه ملك كشمير ، واسمه كومارسن .

فكرام — كومارسن !

إيلا — هل تعرفه ؟ انه اشهر من نار على علم . فان كشمير ذاتها قد وهبته قلبها .

فكرام — كومارسن ؟ ملك كشمير ؟

إيلا — نعم هو. يظهر انه صديقك .

فكرام ـ ولكن ألا تعلمين أن شمس سعده قد أخذت في الافول ؟انبذى كل أمل فيه . انه الآن كالحيوان المصيد يجرى ثم يختبىء من جحر الى جحر . و إن أشد المتسولين فقراً لأسعد منه حالا

إيلا ـ يصعب على أن أفهم ماتقول أيها الملك .

فكرام ـ أنتن أيتها النساء لاتمكن فى مكان اللهم الافي حنايا قلوبكن حيث تحببن . انكن لا تعرفن ما يجرى حولكن من أحوال الدنيا وكيف تقرقع جلبتها . في حين أننا معشر الرجال نكتسح مع تياراتها الجارفة في كل الجهات .

انك بعينيك السوداوين النجلاوين المملوءتين دموعاً تفالين منتظرة يافطة الفؤاد ، متعلقة بأسباب الامل . ولكن يجب عليك أن تعرفى اليأس يابنيتى.

ايلا — أصدقنى أيها الملك. لا تغدر بى. انى ضئيلة حقيرة . ولكنى له وحده بكل ما في .

أين ؟ وفى أى القفار الموحشة يهيم على وجهه حبيبى ؟ سأعود لابحث عنه . أنا التى لم أغادر بيتى لحظة واحدة . دلنى على الطريق .

فكرام — ان جنود عدوه تتبعه —: انه ساقط لامحالة .

إيلا — ألست له صديقاً ؟ ألا تنجيه ؟ ملك فيخطر . وأنت كملك تحتمل هذا ؟ ألا يقضى عليك الشرف والنبل أن تمد اليه يدك ؟

انى أعرف أن كل الدنيا تحبه . ولكن أين هم أهل الدنيا ؟ أين هم في زمان بلواه وحين الكارثة ؟

مولاى . أنت شديد القوى ذو مرة • ولكن في أى شيءتنفع قوتك ، اذا أنت لم تساعد العظيم أظلته الحادثات ؟

هل تستطيع أن تنفض من الامر يدك ؟

اذن فاهدنى الى الطريق • سأضحى حياتى من أجله . انا بمفردى . امرأة ضعيفة واهنة القوى .

فكرام — أحبيه . أحبيه بكل مالديك!· احبيه ،مالك قلبكوسالب لبك . انى فقدت ملكوت حبى . ولكنىلاسعد يوماً بان اجعلك سعيدة . وما كنت لانهر حبك • فان الغصن العاطل لايؤمل ان يزهر بأن يقترض الازهار •

ثقى بى • أنا صديقك • سأرجعه اليك ثانية .

إيلا — يالك من ملك نبيل · • انى مدينة لك بحياتى و بسعادتى .

فكرام — اذهبى وتأهبى بلباس العرس . سأغير توقيع أنغامى .

(تذهب ايلا)

لقد بدأت الحرب أن تكون مضضاً . ولكن السلم مملة •

ايها الطريد الشريد . انك لاسعد حظاً منى . فان حب المرأة كمين السماء،

ترعاك أينما ذهبت فى هذه الدنيا وأية سلكت ، فتحول هزيمتك انتصاراً ، وسوء حظك سعدا ، كالغمام الذى يظلل الشمس عند غروبها .

*

* *

— يدخل ديفاداتا —

ديفاداتا ـ نجنى ممن يتعقبوننى .

الملك من هم .

ديفاداتا ـ فرسان حرسك أيها الملك . لقد ظلوا من حولى أيقاظ الاذهين حوالى نصف ساعة . ولقد تكامت اليهم في الادب وفي الفنون . فتملكهم الجذل وأخذ منهم الحبور . وظنوا بأنى أهزأ بهم لاسليهم ، ثم أخذت أعيد على سمعهم ماقال « كاليداس » من أناشيد ، حتى لقد مر على خواطرهم كالسحر فاخذت العيون من الكرى سنة هنية ، وعلى الرغم منى ماتركت خيمتهم لأمثل بين يديك .

الملك ـ يجب أن يعاقبوا هؤلاء الحراس الذين يهوم بجفونهم النعاس عند ماينشد اليهم سجين شيئاً من أشعار « كاليداس » .

دايفاداتا ـ سنفكر فى العقاب فيما بعد . والآن يجب علينا أن نفض هذه الحرب ونعود الى الاوطان . كنت أظن أنه لايموت من ألم الفراق الا أولئك الذين ربوا فى حجر النعمة وخدمهم الحظ . ولكننى منذ غادرت وطنى لاحضر الى هنا ، قد عرفت أنه ليس ببعيد أن يقع برهمى فقير مثلى فريسة لمخالب الحب الغصوب !!

فكرام — ان الحب والموت كلاهما لايعنيان باختيار فرائسهما . انهما لايباليان .

نعم ايها الصديق . لنعد الى بلادنا . وليس امامى سوى شىء واحد اود ان اتمه قبل الاياب . اجتهد في ان تعرف من فارس تريشور اين مخبأ كومارسن ؟ واذا التقيت به فاخبره بأنى لم أعد عدوه . وكذلك ياصديقى ، اذا التقيت بشخص آخر معه : فقابلها .

ديفاداتا ـ نعم . نعم . أعرف الباقى . انها دائماً فى ذاكرتنا ، ولو أنها أبعد من ان تصل اليها كلماتنا . نعم ان حزنها ولا مرية كان عميقاً مقيساً بنبالة قلبها

فكرام ـ ايها الصديق . لقد اتيت الى كما تهب اول نسمات الربيع الشجية . والآن سوف تتفتح ازهاري ، مع ذكريات الايام السعيدة التى فرطنا عقدها .

[— يخرج ديفاداتا —

***

— يدخل شندراسن —

فكرام ـ عندى اخبار تسرك . لقد عفوت عن كومارسن .

شندارسن — يمكن ان تكون قد عفوت عنه . غير انى الآن وانا أمثل بلاد كشمير فانه سوف يتلقى عدل بلاده من يدى . انه سيتلقى عقابه منى .

فكرام : أى عقاب

شندراسن : سوف يحرم من عرشه .

فكرام : ان هذا مستحيل . سأرد عليه عرشه .

شندراسن : أى حق لك فى عرش كشمير ؟

فكرام : حق المنتصر في ميدان الحرب . ان هذا العرش هو لى الآن . وسأرده اليه .

شندراسن : أنت تعطيه اليه ؟ الست اعرف كومارسن المتكبر الفخور منذ حداثته ؟ اتظن انه يقبل أن يسترد عرش أبيه كمطية منك ؟ ان يحتمل انتقامك ولكنه لايقبل تجنيك عليه

***

(يدخل رسول)

الرسول : لقد وصلت الاخبار بان كومارسن قادم فى عربة مقفلة ليسلم نفسه

شنداراسن : خبر مكذوب ! أيأتى الاسد ليقدم يديه للاصفاد؟ وهل الحياة عزيزة الى هذا الحد ؟

فكرام : ولماذا يأتى في عربة مقفلة ؟

شندراسن : كيف يمكن أن يظهر نفسه ؟ إن أعين الناس فى الطرق تخترقه كالسهام في سرعة نفاذها ،

أيها الملك . اطفىء المصباح عند مايحضر واستقبله في الظلام . وفر عليه
اهانة لقياه تحت ضوء المصباح .

(يدخل ديفاداتا)

ديفاداتا : سمعت أن الملك كومارس قادم ليلقاك بمحض إرادته .

فكرام : سألقاه بكل ماهو جدير به من مظاهر الاكرام والاحترام ، وأنت
معى كممثل للدين .

عرف قائد جيشي بان يأمر الجند ليقيموا حفلة زفاف باهرة .

(يدخل البراهمة)

الكل : لك النصر وطول العمر .

البرهمي الاول : سمعنا انك استدعيت ملكنا لترد عليه عرشه . وكذا
حضرنا لنباركك ونحوطك بتهانينا .

يدخل شنكر

تلقاء ماغمرت به بلاد كشمير من جذل وسرور .

البراهمة يباركون الملك وهو ينحنى لهم.و يخرجون
شنكر (الى شندراسن)

مولاى . اصحيح أن كومارسن قادم ليسلم نفسه الى اعدائه ؟

شندراسن — نعم . حق ماسمعت .

شنكر — ان هذا لاحقرمن كل الاكاذيب المنتشرة في ارجاء العالم مجتمعة.
ياملكي المحبوب انا خادمك القديم . تحملت من الآلام مالايعلمه الا الله
ومع كل هذا لم أشك مرة واحدة . فكيف بي احتمل ماأسمع ؟ أأسمع انك تجوب
كل طرق كشمير من مشرقها الى مغربها لتدخل القفص طائعا مختارا ؟ لماذا لم
يمت خادمك قبل أن يأتى هذا اليوم الاسود ؟

(يدخل جندى)

الجندى — المركبة بالباب .

الملك — اليست القيثارات والدفوف على استعداد ؟ فليعزفوا صوتاً مبهجاً

(يقتربون من الباب)

أهلا بك ياصديقي الملكي . اهلا بك من كل قلبي .

تدخل سومترا وبين يديها طبق مغطى

فكرام — سومترا ! يامليكتي!

سومترا — ايها الملك فكرام . لقد تعقبتة ليلا ونهارا بين التلال والاحراج، وكنت اينما سرت انتشر وراءك الخراب ناسيا شعبك وشرفك ، واليوم يرسل اليك معي رأسه المفصول عن جسمه . الرأس الذي يجلس من فوقه الموت بجلال أين منه جلال التاج .

فكرام — مليكتي !!!

سومترا — يامولاي . لم اعد بمليكتك بعد . لان الموت الرحيم قد انتشلني من بين يديك

(تسقط ميتة)

شنكر — ياملكي. ياسيدي . ياولدي العزيز ، حسنا مافعلت . لقد جلست على عرشك الابدي . ولقد شاء الله لي ان اعيش لاراك في هذا المجد الباقي. والآن قد أنتهت أيامي فوق الارض ولم يبق لخادمك الا ان يتبعك الى حيث ذهبت.

(تدخل ايلا في ثياب الزفاف)

ايلا — ايها الملك إني اسمع موسيقى زفافي. فاين حبيبي؟ لقد تهيأت للقياه.

* * *

علاقة الانسان بالكون

***

أينعت مدنية اليونان القديمة بين جدران المدن وأسوارها المشيده والحقيقة أن كل المدنيات الحديثة لها بداياتها في مهاد قوامه اللبنات المرصوصة

ولا مرية فى أن هذه الجدران المشيدة تترك آثارها المحتومة العميقة في عقول الناس . فانها تلزمهم أن يضعوا نصب أعينهم تلك الحكمة السياسية المعروفة « فرق وأحكم » وتطبعها في عقولهم وتضطرهم الى الاعتقاد بأن كل انتصاراتنا لن تنال إلا باحكام تحصينها وفصل احداها عن الاخرى. فننفصل بذلك بين أمة وأخرى وبين صورة من المعرفة وصورة غيرها ، و بين الانسان والطبيعة . انها تقوى فينا نزعة الشك في كل ما هو كائن خارج حدودها التى أقمناها وشيدنا دعائمها ، وما من شيء يستطيع أن يقتحم لنفسه طريقاً الى حيز اعتبارنا ، إلا بعد موقعة كبرى وجهاد عظيم .

لما أن ظهر غزاة الآريين لاول مرة في الهند كانت تلك البلاد عبارة عن رحاب متسعة مترامية الاطراف تكسوها غابات لم يلبث الغزاة أن انتفعوا بها وجنوا ثمراتها . فقد اتخذوا منهـا ملجأ يتقون به حرارة الشمس الفاتكة وهجمات الرياح الاستوائية القاتلة ، كما وجدوا فيها مرتعاً خصيباً لماشيتهم ، وناراً يوقدونها للتوسل وتقديم التضحيات ، ومواد يبتنون بها القرى والاكواخ. ولقد سكنت كل قبيلة ، وعلى رأس كل منها بطريقها Patriarch الاكبر في غابة من تلك الغابات ، حيث وجدت ما تحتاج اليه من حمى طبيعى ، وغذاء وافر ، وماء دافق.

فالمدنية فى الهند وليدة الغابات و بين جنباتها الرحيبة أينعت وآتت أكلها وفي صميم هذه الطبيعة وذلك الوسط تلونت بلون خاص ، وطبعت بطابع وحده. ولقد حوطت تلك المدنية بحياة الطبيعة الرحبة وتغذت بلبانها واتشحت بردائها ، فكان لها بمختلف مظاهرها وتباين نواحيها ، أكبر علاقه ، وأمتن آصرة.

قد يسبق الى حدس البعض أن حياة هذه صورتها وذلك طابعها ، قد تطفىء جذوة الذكاء الانسانى ، وتهبط حرارة تلك المثيرات التى تفزع بالانسان الى التقدم

والارتقاء بما تسبب من انحطاط فى مستوى الوجود. غير أننا نجد في الهند القديمة أن الحالات التى سببتها حياة الغابات لم تستقو على عقل الانسان بما يضعف من نزعته، ولم تذهب بشيء فى مستفزات نشاطه، بل كان كل أثرها محصوراً في أن تولى بتلك الاشياء الى وجهة خاصة. فالانسان كان حراً. لان اتصاله باوجه النشوء والتطور التى كانت تحف به في الطبيعة قد حررت عقله من كل رغبة في أن يمد من سلطانه، فيشيد الاسوار الشامخة حول ما يجمع من حطام. واذن لم يكن غرضه محصوراً في أن يملك ويجمع، بل فى أن يحقق وينظر، وأن يوسع من مجال ادراكه، وأن ينشأ وينمو مع الاشياء المحيطة به، لا بل أن يصبح مندمجا فيها. لقد أدرك أن الحقيقة تتضمن كل شيء، وأنه لا يوجد من شيء فى الوجود هو مطلق الانفصال عن الكل، وأن الطريق الوحيد الذى يقودنا الى حيث نجد الحقيقة هو أن ننفذ بوجودنا الى صميم كل الاشياء والموجودات بيد أن تحقيق تلك الالفة الكاملة الكائنة بين روح الانسان وروح الوجود، كانت الغرض الاوحد الذى سعى اليه حكماؤنا الذين عاشوا بين الحراج والغابات في بلاد الهند القديمة.

خلال الازمان الاخيرة حطمت تلك الغابات وانقلبت حقولا مزروعة، ونبتت فيها المدن المشيدة والعواصم المنيعة. ولقد قامت عليها دولات قوية قادرة كان لها اتصال كبير بكثير من دولات الارض العظمى. غير أن عين الهند، حتى فى تلك العصور التى خفقت على ربوعها فيها أعلام السعادة ورفت في سمائها روح السلام، كانت تنظر نظرة القداسة الى تلك المثل العليا التى رمت الى تحقيق الانسانية، والى عظمة تلك الحياة الطبيعية التى تمتع بها سكان الاكواخ، والتى استمدت خيرة آمالها من تلك الحكمة التى خبئت جدرانها.

والظاهر أن الغرب يفتخر بانه ماض فى اخضاع الطبيعة، كما لو كنا نعيش في عالم معاد لطبيعتنا، حيث نضطر الى أن نصارع في سبيل كل شيء نحتاج اليه لننتزعه من نظام غريب عنا، بعيد عن الخضوع لارادتنا. وما هذا الشعور إلا نتاج لعادة العيش فى المدن المسورة الحصينة، وتدريب العقل عليها. لان الانسان في حياته المدنية انما يوجه كل الضوء المنبعث عن بصيرته العاقلة الى العناية بحياته وأعماله

الخاصة ، وما من نتيجة لهذا سوى أن يخلق فاصلا صناعياً بين نفسه و بين الطبيعة التى يعيش في أحضانها.

أما فى الهند فان وجهة النظر مختلفة عن ذلك تماماً . انها انما تجمع بين العالم والانسان وتتخذهما حقيقة عظمى لاتنفصل أجزاؤها . توجه الهند كل جهودها الى معرفة تلك الالفة الكائنة بين الفرد والكون . انها تشعر بأننا لن نستطيع أن نتصل بوجه ما من أوجه الاتصال بما يحيط بنا من الاشياء ، إذا كانت تلك الاشياء غريبة عنا ، أجنبية عن طبيعتنا . أما شكوى الانسان من الطبيعة فتنحصر في أنه ملزم بأن يحصل على كل مقومات حياته بمجهوده الذاتى . نعم ! غير أن جهوده تلك ليست عبثاً ولا هي ضائعة سدى . أنه يجنى كل يوم ثمراً ، وينال نجاحاً . وذلك يدل على أن هنالك قاعدة معقولة تصل بينه و بين الطبيعة ، لاننا لانستطيع أن نحصل على شيء ونجعله جزءاً من وجودنا ، مالم يكن فى ذلك الشيء قدر من حقيقة الاتصال بذواتنا .

يمكننا أن ننظر فى طريق ما من جهتين مختلفتين . فقد تمثله لنا احدى النظرتين كأنه يقوم فاصلا بيننا و بين الشيء الذى تتجه اليه رغباتنا . وفى هذه الحال ننظر فى كل خطوة نخطوها خلال سياحتنا على هذه الطريق كما ننظر الى شيء لم ننله الا بعامل القوة والقسر انتزاعاً من عقبات وحوائل تصدنا دونه . وقد تمثله لنا النظرة الاخرى كأنه السبيل الوحيدة التى تسلم بنا الى نهايته التى نرغب فيها ، وعلى ذلك تكون الطريق التى نسلكها جزءاً من الغرض الذى نسعى اليه . انما يصبح الطريق الذى نسلكه فى هذه الحالة بدء نجاحنا ، فاذا ضربنا فيه فاننا نجنى كل شيء يمكن أن يؤدى اليه . أما وجهة النظر الاخيرة فهى بذاتها وجهة نظر الهند أزاء الطبيعة . وان الانسان انما يستطيع أن يفكر لان بين أفكاره و بين الاشياء التى يفكر فيها ألفة واتساق . وأنه ان قدر على أن يستخدم قوى الطبيعة في تنفيذ أغراضه ، فانما يرجع السبب في ذلك الى أن قوته فى حالة ألفة وتطابق مع القوة العامة ، وأنه فى درج أعماله كلها لن تصطدم أغراضه مع القصد والغاية المنبثان في تضاعيف الطبيعة .

أما الغربيون فيشعرون بأن الطبيعة هي عبارة عن الاشياء غير الحية والحيوانات ، وأنه حينما تبدأ الحياة الانسانية فهنالك يقوم صدع متناء لايسبر غوره يفصل بين عالمين متناقضين . وعلى هذا يترتب أن كل شيء ينحط فى درجات الوجود فهو فى حيز الطبيعة الصامتة ، وأن كل شيء مطبوع بطابع الكمال عقلياً وأدبياً ، فذلك فى حيز الطبيعة الانسانية . وما مثلهم فى هذا الا كمثل من يفصل بين الكم و بين الزهرة ، ويجعلهما فى حيزين متباعدين ، ناسباً وجود كل منهما الى مبدأ لايتفق والمبدأ الذى أوجد الآخر . غير أن الحالة فى الهند على نقيض ذلك . فانهم هنالك لا يتلكأون في الاعتراف بصلة الرحم الواقعة بينهما والعلاقة التى تربطهما معاً بالكل اللامتناهي .

على أن الالفة الاساسية في الخلق لم تكن فى نظر أهل الهند عبارة عن تأمل فلسفي لاغير . بل كان الغرض الذى رموا اليه فى حياتهم هو تحقيق تلك الالفة شعوراً وعملا . فبالتأمل والعبادة وتنظيم أعمال الحياة ، استطاعوا أن يغذوا ضمائرهم ووجدانهم على أسلوب جعلهم يشعرون بأن في كل شيء يحوطهم معنى روحانياً . فالارض والماء والضوء والثمار والازهار لم تصبح في نظرهم مجرد ظاهرات طبيعية ينتفع بها ثم تترك سدى . بل ان هذه الاشياء قد اعتبرت عندهم ضرورات لابد منها للوصول الى أقصى قمة من المثل الاعلى فى الكمال . كضرورة كل نغمة من النغمات في التأليف بين القطع الموسيقية . لقد أدرك أهل الهند بما فيهم من قوة الحس الكامن أن حقيقة هذا العالم ذات معنى حيوي ندركه ، وأنه من الواجب أن نقف على دقائقها وأن نبدع صلة وجدانية بيننا و بينها ، لا من طريق الغرائب العلمية ولا من طريق الطمع فى الانتفاع والكسب ؛ بل بتحقيق ذلك المعنى في جو تسود فيه روح العطف ، ممزوجة بشعور من الغبطة وحب السلام .

يعرف ذو العلم ، فى ناحية في نواحى بحثه ، بأن العالم ليس مجرد تلك الاشياء التى تدركها الحواس ، إنه يعرف بأن الماء والارض هما في الحقيقة نتاج تفاعل قوات تظهر لحواسنا ماء وأرضاً . وكيف لايكون علمنا بها جزئياً مع كل هذا ؟ فى حين ان الرجل الذى ينظر بعين الروح ، لا بعين الحس ، انما يعلم أن الحقيقة الاخيرة فى

طبيعة الماء والارض ، ترجع الى مقدار مانستطيع أن ندرك من الارادة الباقية السرمدية التي تبرز أعمالها خلال العصور وتطاول الازمان ، وتتشكل في صور من القوى المختلفة ، نحقق نحن وجودها في تلك المظاهر . وليس في هذا شيء من العلم المجرد ، بل هو ادراك الروح بالروح . على أن هذا الاسلوب لن يسلم بنا الى القوة ، كما يسلم بنا العلم وطرق المعرفة . بل يسلم بنا الى الغبطة وانشراح الصدر ، الذى هو نتيجة لتوحيد أشياء تربط بينها أواصر شتى . أما الرجل الذى لا يسلم به علمه بأحوال الدنيا الى أعماق أبعد غوراً من تلك الاعماق التى يفضى اليها العلم فانه لن يدرك طبيعة تلك الاشياء التى يستوعبها الرجل ذو البصيرة الروحانية من مظاهر الطبيعة . فانه يعتقد أن الماء ليس وسيلة للنظافة لاغير ، بل يشعر بانه يطهر قلبه ويصفيه من أدران الرذائل . وليست الارض عنده مجرد وطاء تحمل جسمه ، بل هى وسيلة للسرور والانشراح . ذلك لانه يشعر بأن علاقته بها ليست لمجرد علاقة مادية . بل علاقة ذات معنى حيوى كائن . فاذا لم يحقق الانسان قرابته وأواصر علاقته بالطبيعة فانه يعيش في سجن تتكون جدرانه المسورة من أشياء أجنبية عن طبيعته . أما اذا مضى شاعراً بأنه انما يرى الروح السرمدية منبثة فى تضاعيف كل الموجودات ، فهنالك يتحرر ، لانه بذلك يكون قد كشف عن الحقيقة الكاملة لهذا العالم الذى يعيش في جنباته . هنالك يجد الحقيقة ، ويحقق الالفة الكائنة بينه وبين الكل . على هذا تجد الحال فى بلاد الهند . فان أهلها يعتقدون اعتقاداً تاماً فى تلك العلاقة القريبة التى تصل بينهم وبين مايحوطهم من الاشياء جسمانياً وروحانياً ، وتراهم يهللون لشروق الشمس وتدفق المياه وثمار الارض ، على اعتبار أنها أشياء تمثل الحقيقة الخالدة التى تضمهم وتلك الاشياء فى بيئة واحدة . ولهذا تجد أن سفر « الجاياترى Gayatri» هو سفر التأمل اليومى ، وهو مقطوعات شعرية تتضمن خلاصة كل مافى كتب الڤيدا Vida وهي انما تتخذ وسيلة لتحقيق الوحدة الاساسية بين العالم وضمير الانسان . فانها تعلمنا كيف ندرك تلك الوحدة التى يربط « الروح الخالد » بين أجزائها . ذلك الروح الذى خلق الارض والسماء والنجوم ، وهو فوق ذلك يزيد عقولنا

إشعاعاً بما يبعث فى الضمير والادراك من أضواء تتراوح بين الثبات والحركة ولكن في سلسلة غير مفصومة ، تبعاً لحركة العالم الخارجي .

وليس من الحقيقة في شيء أن أهل الهند قد حاولوا أن ينكروا الفروق التقييمية الكائنة بين الاشياء . لانهم يعلمون حق العلم . إن هذا يجعل الحياة في حيز المستحيلات . فان الشعور بتفوق الانسان وارتقائه في نظام الخلق ، أمر لم يغب عن أذهانهم لحظة واحدة . ولكن كان لهم بجانب هذا فكرتهم الاصلية فى ذلك الشيء الذى ينحصر فيه تفوق الانسان واستعلائه على الطبيعة ، وان هذا الشيء ليس فى قوة الاستجماع والكسب ، بل في قوة الاندماج والوحدة . لهذا تجد أن أهل الهند قد جعلوا قبلة حجهم الى حيث يكون فى الطبيعه أثر من آثار الجمال والعظمة ، حتى بذلك يستطيعون أن ينتزعوا العقل من دائرة الحاجات الضيقة ، وأن يحققوا وجوده في اللانهاية . وكان هذا هو السبب الاوحد فى أن تقلع أمة برمتها كانت من قبل من أكلة اللحوم عن أن تنحر البهائم وتتخذها طعاماً ، وتعكف على غرس بذور العطف العام والحب المتبادل . ولا مرية في أن هذا العمل نسيج وحده في تاريخ النوع الانسانى .

لقد علم رجالات الهند أننا باقامة الحواجز الطبيعية والعقلية ، انما ننتزع أنفسنا من حياة الطبيعة الفائض معينها ، واننا اذا أصبحنا الانسان مجرداً ، لا الانسان مندمجاً في الكون ، فانما نخلق بذلك من حولنا جواً كثيفاً من المشكلات الممضة ، واننا بذلك ننضب النبع الفياض الذى يزودنا بما نقتدر به على حل تلك المشكلات ، فنمضى من ثم في تجربة كل الاساليب الصناعية ، التى يؤتى كل أسلوب منها ثمره اليانع من معضلات لا نعرف لها حلا ولا نبلغ منها إلى غاية . فان الانسان عند ما يترك وكنه الفطرى وسكنه الغريزى فى جوف الطبيعة العامة ، وعند ما يمشى على حبل الانسانية وحدها ، فان مثله فى ذلك يكون كمثل من يريد أن يرقص متراوحاً بين أطباق الهواء ، أو من يهيء تحت قدميه هوة يقع فيها فيجهد كل مجموعه العصبي وكل عضلاته في الاحتفاظ بتوازن جسمه لدى كل خطوة يخطوها ، حتى اذا ما أخذ منه التعب وأكده النصب ، أبرق ضد العناية

وأرعد، ومضى وملؤه شعور مؤلم ممزوج بكبرياء كاذبة ،ظاناً بأنه سيء الحظ مظلوما وأن طبيعة الاشياء انما تتجه في ناحية يشعر بأنها ضد غاياته ومقاصده .

غير أن هذه حالة لا يمكن أن تدوم . فالانسان لا بد من أن يحقق يوما طبيعة وجوده كجزء من كل متلائم النواحي ، ويحدد مركزه في اللانهاية . يجب أن يعرف أنه على الرغم من كده ونصبه ، فانه لا يستطيع أن يجعل خلية حياته تفيض بالشهد ، لان قوت حياته انما يوجد خارج جدرانها المسورة . يجب عليه أن يدرك أنه اذا منع عليه الاحتكاك باللانهاية المحيية المطهرة فانه عندئذ ذلك يرجع منقضاً على نفسه يطلب منها الحياة والبرء من علله فتثور في قلبه ثورة الجنون ، فيمزق أجزاء نفسه أى ممزق ، ثم يأكلها جزء جزء ،فكأنما يهضم بذلك حقيقة وجوده. وهو اذ يفقد سنادة الكل اللامتناهي ، يصبح فقيراً معدماً صفر اليدين حتى من صفاته الانسانية ، صفات البساطة والسذاجة ، ويصبح قذر النفس ، تعلو وجهه قترة الخجل والانقباض . هنالك ينضب معين ثروته الحيوية وتحيط به أسباب الخرق والاسراف والخبل ، وتحتكم فيه شهواته ولا تخضع لحاجات حياته ، ذاهبة الى أقصى حد من الافراط والفجور . وتصبح الشهوات غاية في ذاتها، وتشعل فى الحياة جذوة وتمد بين أجزائها حريقاً مشتعلا تنبعث مع ألسنته نغماتها الشوهاء الموقعة على قيثارة نفسه المتلظية .

على هذا نجد أننا في قرارة أنفسنا انما نعمل دائماً على انتاج كل ما هو مفزع مخيف،لا على انتاج كل ما هو مغر جذاب . ففي الفن،نعمل دائما على أن نبتكر ، ونغض الطرف عن الحقيقة الخالدة التى هى على قدمها متجددة الشباب.وكذلك في الادب، نغفل عن أن ننظر نظرة تامة فى الانسان،الذى هو بسيط،بيد أنه عظيم. فيظهر لنا الانسان كمسألة بسيكولوجية ،أو كشهوة مجسمة فى ذاتها،عظيمة لانها غير قياسية.ذلك لاننا ننظر فيه تحت أشعة مصطنعة شديدة التأثير.فان ادراك الانسان عندما يصبح شديد الارتباط بذلك الحيز الذى يجعله متين الآصرة بما يحوط نفسه الانسانية ،فان جذور طبيعته لا تجد من حولها تلك البيئة التى تساعد عناصرها على النماء ، وتظل روحه مشرفة على هاوية الاضمحلال والموت جوعا ،و يستبدل تارة

الصحة، بحلقات من المنبهات الشديدة، بعضها يحوى بعضاً. اذن فالانسان هو الذى يخطىء فى معرفة ما ينطوى عليه وجوده من معانى الجمال، فيقيس عظمته بمقدار الـكم لا بنسبه اتصاله الحيوى باللانهاية ؛ ويحكم على نشاط نفسه بما فيها من قدرة على الحركة، ولا بنسبة اطمئنانها الى بلوغ الكمال. ذلك الاطمئنان الهادىء الذى يبعثه في النفس منظر السماوات بنجومها المتألقة ، والبحار باصواتها المتهدرة ، بل وكل ما تفيض به نواحى الوجود من توازن الخطو وتناسق الاجزاء .

ليس من شبيه فى التاريخ لغزو الهند الاول، سوى غزو الاوروبيين لامريكا في العصور الحديثة. فانهم قوبلوا هنالك بغابات قديمة، وحروب دموية مع السلالات الاصلية التى كانت تسكن تلك البلاد. غير أن هذا الشجار الذى قام بين الانسان والانسان و بين الانسان والطبيعة، قد استمر حتى النهاية، فلم يتفاهم الطرفان مطلقاً، ولا التقيا في مواضع ساد فيه السلام . أما الهند فان الغابات التى ظلت طوال الاعصر سكن المتوحشين والهمج ، قد أصبحت مباءة الفلاسفة ومأوى الحكماء، على الضد مما كان فى أمريكا . فان تلك الغابات ، كانت درائيات الطبيعة العظمى وموضع عبادتها الاقدس، لم تبعث في روع الانسان من معنى جديد ولم تزوده بشعور من العظمة أو حب الاندماج فى اللانهاية. لقد اتخذت كمصدر للقوة والثروة ، ولـكنها قليلا ما بعثت فيه هنالك حساً من الجمال وشعوراً بالخلود، فكانت على تدار فترات الزمان توقظ فى نفس شاعر ما روح الشاعرية. انها لم تحز فى زمان من الازمان الحديثة فى أمريكا قدراً من الارتباط بقلب الانسان. ولم تشهد شيئاً من طبيعة التفاهم الروحى، يقوم بين روح البشر و روح الـكون.

ولست أتردد لحظة واحدة فى أن اعلن بأن رغبتى لم تتجه إلى القول بان طبيعة الحوادث كان من الواجب أن تسير في غير هذه الوجهة. فان التاريخ فى دوره عبارة عن مجموعة حوادث لا أثر لها ان هى تكررت على وتيرة واحدة ونمط بعينه خلال تتالى الاجيال ، وفى مختلف النواحى. فانه من الاربح لتجارة الارواح أن تنتج الامم حاصلات مختلفة باختلاف مواقعها على كرة الارض وتعرض بها فى سوق الانسانية بحيث يكون كل نتاج منها متمم وضرورى لغيره من النواتج . أما ما أريد أن اقرر

انما لحقيقة أن الهند منذ بدء حياتها قد ووجهت بمجموعة من الحالات الخاصة، لم تفقد شيئاً من مؤثراتها .فان أهل الهند،خضوعاً لحالاتهم التى حوطتهم فى الحياة،قد فكروا وسبحوا مع الخيال ،وجهدوا في الحياة وتأملوا،وغاصوا الى اعمق أغوار الوجود فحققوا شيئاً من الثابت أنه ذوقيمة كبيرة في نظر أقوام تمشى تاريخهم فى طريق من النشوء مخالف للطريق الذى تمشى فيه تاريخ الآخرين . فان الانسان لكي يكمل نماؤه يحتاج الى كل العناصر الحية التى تؤلف بين أجزاء حياته المتخالطة.وهذا هو السبب فى أن غذاءه يجب أن يزرع فى حقول مختلفة،وينتج من منابع متفرقة

المدنية عبارة عن تكوين تجتهد كل أمة فى أن تجعل رجالها ونساءها في ألفة مع ارقى مثله العليا . فكل معاهد ذلك التكوين وقوانينه وشرائعه وكل ما في مثله من الحسن والقبح ، وكل تعاليمه الادراكية والوجدانية انما تتجه بكليتها الى تحقيق هذه الغاية . فالمدنية الحديثة،على ما فيها من القوات المنظمة ، انما تعمد الى غاية يصبح الانسان معها كاملا طبيعيا وعقلياً وأدبياً . وهنالك تتجه كل جهود الامم الى النظر فى الطريقة التى يصبح بها الانسان متسوداً على ما فى بيئته ، فتجد أن كل الامم قد حصرت جميع مواهبها في العمل على الملك والاستجماع مكتنزة كل ما تصل اليه يدها من العدد لكي تستقوى بها على العقبات التى تعترض سبيل غزوتها أو تقف سيرها . لقد حصرت الامم كل همها في تنظيم حقوقها فهى تحارب الطبيعة طورا وتحارب أمماً أخرى طورا آخر . ولهذا نجد أن معدات قتالها قد أخذت تزداد قوة وفتكا كل يوم ، وأن آلاتها ونظمها ومستحدثاتها قد أطردت الزيادة فيها بنسبة مروعة . ومما لاشك فيه أن ذلك وجه من الانتاج جدير بالفخر ، ودليل محسوس على قدرة الانسان في التسود على قوى الطبيعة ، تلك القدرة التى لا تعرف حائلا يصدها عن غاية ، ولا تنشد من غرض سوى أن يسود الانسان على كل شيء فى هذا الوجود

كذلك نجد الحال في الهند القديمة فان شعوبها قد تملكها شعور دفع بها الى بلوغ مثل أعلى من الكمال ، حصرت كل همها فى سبيل بلوغه ، ولكن لم يكن الغرض من الوصول الى هـذا المثل حيازة القوة . لهذا نجد أن هذه الشعوب قد

أهملت في تهذيب كفاياتها لتبلغ بها الى أرقى حد ممكن ولم تحاول أن تنظم رجالها في صفوف تستخدم للهجوم والدفاع ، ولا للتعاون فى استجماع الثروة ، أو السيادة فى عالمى الحرب والسياسة . فان المثل الذى رمى الى تحقيقه رجل الهند قد جذب أكثرهم نبوغاً وأشدهم على الحكمة اكبابا ، الى حيث يمتعون بحياة بعيدة عن كل شيء الا عن التأمل الذهنى ، وما من ريبة فى أن العمل على حيازة تلك الكنوز التى استجمعوها بهذه الطريقة لخير الانسانية بنفوذهم الى صميم الاسرار التى تحوط الحقيقة وتحجبها عن الانظار ، قد أفقدهم كثيرا مما كان فى مستطاعهم أن يمتعوا به من ضروب النجاح العالمى . غير أن انتاجهم هذا ، من وجهة أخرى ، لانتاج جدير بالاعجاب حقيق بالفخر العظيم ، فانه دليل سافر على أن الآمال الانسانية لا تعرف حداً ولا تقف عند غاية ، وانها لا ترمى الى قصد اللهم الا الى تحقيق اللانهاية وإثبات وجودها الحقيقى

لقد كان منهم ذو الفضيلة ، وذو العقل ، وذو الشجاعة وكان منهم السياسيون والملوك والامبراطرة الذين حكموا تحت سماء الهند . ولكن الى أية فئة من الفئات تنظر عين الهند لتنتخب منهم من يمثل حقيقية الانسان ؟ نظرت الى الريشى. ومن هم الريشى ؟

« هم أولئك الذين بعد أن تحققوا من الاندماج في « الروح الاعلى » بالمعرفة، قد ملؤوا حكمة ؟ ولما أن وجدوه فى وحدة مع الروح البشرى قد أصبحوا فى ألفة تامة مع النفس الكامنة . وبعد أن حققوا وجوده في القلب ، تحرروا من كل النزعات التى تؤدى اليها الانانية . وبعد أن أثبتوا بالتجربة أنه كائن فى كل أوجه النشاط التى ظهرت آثارها في نواحى الوجود قد قنعوا بالهدوء والطمأنينة. هم أولئك الذين بعد أن بلغوا الى درجة الاتصال بالله الواحد الفرد من كل الوجوه، قد حصلوا على السلام الابدى ، فاتحدوا بالكل ، واندمجوا فى حياة اللانهاية . »

وعلى هذا ترى أن تحقيق علاقة الانسان بالكل ، والاندماج فى كل شيء من طريق الاتصال بالله ، قد اتخذ فى الهند على انه الغاية ، وانه القصد الاخير الذى يجب أن تسعى له الانسانية .

فى استطاعة الانسان أن يهدم ويخرب ، وأن يكسب ويجمع ، وأن يخترع ويستكشف ، ولكن عظمته الحقيقية تنحصر فى أن روحه يستطيع أن يدرك الكل . وليس لسجن النفس الانسانية فى غلاف من العادات الجامدة من معنى ، اللهم الا الفناء المحتوم ، اذ تكتنفه في تلك الحالة اعاصير من أعمال الحياة العمياء تلف حوله لفها ، فتحجب عنه الحق كما تحجب الزوابع الترابية نهاية الافق عن الابصار . ولا مرية فى أن هـذا يهدم حقيقة وجوده ويذهب بماهية حياته ، التى هي لدى الواقع ليست بشىء سوى روح الفهم الحقيقى لطبيعة الاشياء . وفى الحق أن الانسان ليس عبداً لنفسه . ولا للطبيعة . إنه عاشق محب . فحريته وواجبه ينحصران في الحب ، الذى لا نعنى به الا كمال العلم وتمام الادراك من طريق هذه القوة ، قوة العلم والادراك والوقوف على حقيقة وجوده ، يتحد ويندمج في «الروح الاعلى» الممثل في كل شىء والكائن في كل شىء ، والذى هو لدى الواقع شهيق روحه وزفيرها . وحينما يريد الانسان أن يستعلى بنفسه منازعاً بقية الموجودات ، مزاحماً كل ما يحف به ، ليحوز بذلك درجة أعلى متسوداً على كل الاشياء ، فهناك يبدأ انفصاله عن (الروح) وهذا هو السبب الذى من أجله يصف (اليوبانيشاد) كل الذين وصلوا الى الغرض الاخير الذى ترمى اليه الحياة الانسانية بانهم (في سلام) وأنهم مع (الله) ويعنون بذلك أنهم في ألفة تامة مع الانسان والطبيعة ، وبذلك يصبحون فى حلقة غير مفصومة من الاتحاد مع الله .

أن فى تعاليم المسيح عيسى ابن مريم لاشارة الى مثل هذا اذ يقول — انه لأهون على الجمل أن ينفذ فى سم الخياط من أن يدخل غنى ملكوت السماوات . وليس لهذا من معنى الا أن كل ما ندخر لانفسنا هو بمثابة فاصل يفصل بيننا وبين بقية الاشياء . أو بمعنى أوجز — أن حطامنا هى منتهى أفقنا . فان من يعكف على استجماع الثروة والغنى ، يصبح عاجزاً عن أن يلج ذلك الباب الذى يفتح أمامه مجال الادراك الحقيقى لطبيعة العالم الروحى ، عالم الألفة الكاملة . ذلك لان نفسه تكون مستمرة الانتفاخ بالمادة ، دائمة الانبعاج بالدنيويات . وينحصر مجاله فى ما بين تلك الجدران الضيقة التى تقيمها من حوله مستجمعاته المحدودة .

أما التعاليم التي يدعو اليها « اليوبانيشاد » فهي — انك من أجل أن تصل الى الروح الأعلى — يجب عليك أن تدرك الكل — وانك في بحثك وسعيك وراء النفس دائماً تترك كل شيء لتحصل على أشياء قليلة ، وان هذا ليس سبيل الاتصال به ، الذي هو الكمال الصرف ، والخير المحض .

من بين فلاسفة أوروبا المحدثين ، فئة على الرغم من كونهم مدينون ، بطريق مباشر أو غير مباشر « لليوبانيشاد » وعلى الرغم من أنهم لا يعترفون بهذا الدين ، يعتقدون بان « براهما » الهند عبارة عن تجريد صرف ، وذهول فكرى محض ، وانكار كامل لكل ماهو كائن في هذه الدنيا ، وعلى الجملة أن الوجود اللامتناهى لا يمكن أن يكون له وجود الا فى عالم الغيبيات. وليس ببعيد أن يكون هذا المذهب أو ما يقارب لا يزال منتشراً بين فئة من أهل الهند . غير أن هذا غير مطابق لمقتضى الحالات التى يقوم عليها روح العقل الهندى وقوامه . فان هذا المذهب ، على العكس من ذلك ، عبارة عن وسيلة عملية لتحقيق وجود اللانهاية واثبات مدلولها في كل الاشياء التي ظلت كل الاعصر بائة وحيها ، نابذة سرها . والمفروض علينا أن نوقن بأن :

« كل مافي الدنيا من موجودات مندمج فى الله . إنى إنما أسجد لله مرة تلو أخرى ، لانى أراه في النار وفي الماء وهو الذى يحل فى كل نواحى العالم وفى المحصولات التى تحبونا بها الارض كل عام، كما هو فى الاعشاب الدورية الحياة »

هل يمكن أن يكون هذا هو الله المجرد عن كل مافى الكون ؟ على العكس من ذلك ، فان هذا المذهب لا يزودنا بأن نراه فى كل الاشياء لا غير، بل يلزمنا أن نحييه ونمجده في كل الموجودات التى يتضمنها العالم . فان موقف الرجل «الشاعر بالله» فى اليوبانيشاد أزاء الكون ، لموقف يتجلى فيه شعور التقديس العميق والعبادة الحقة . فان موضع عبادته موجود أمامه في كل شئ ، وحيثما كان . إن معبوده هو تلك الحقيقة السرمدية التى تثبت وجود كل الحقائق التى ندركها . وليس هذا الحق بمطوى بين جنبات المعرفة وحدها ، بل هو كامن فى تضاعيف العبادة والخضوع. انا نسجد له حيثما كنا مرة بعد أخرى .انه يتجلى فى سورة « الريشي »

..ين يهيبون بكل من فى الدنيا فى أخـذة . افتتانهم الفجائية المملوءة بالشغف الجذل : صائحين

« أصغوا الينا ، أنتم يا أبناء الروح الخـالد ، انتم يامن تعيشون في المـأوى سماوى . لقد عرفنا الذات العلية التى تنير أضواؤها الخاطفة من وراء الظلمات ؟ »

ألسنا نجد شغفاً شاملا فى تجربة مثل هذه كلها يقين ، وكلها ايجاب ، حيث معجز عن أن نجد أقل أثر للابهام أو السلب ؟

لقد بشر « بوذا » وهو أول واضع للناحية العلمية من مذهب «اليوبانيشاد» - ثل هذه الرسالة حيث يقول :

« مع كل شىء ، سواء أكان علاء أم حضيضا ، بعيدا أم قريبا ، مرئياً أم غير رئى ، سيكون لك صلة من الحب غير محدودة فلا تشعر بعداء أو نهمة للقتل » . انك اذا عشت تحت تأثير مثل هذا الوجدان قاعداً أو ماشيا جالساً أو مضطجعا تى تنام ، فهنالك تكون « براهما فهراً » أو بعبارة أخرى ، تكون حياً متحركا ذلا فى براهما وأهذا هو الروح ؟

يقول اليوبانيشاد : —

« هو الموجود الذى ينبعث من ماهيته ضوء الكل وحياة الكل . هو جدان العالم . هو براهما »

لنشعر بالكل . ولندرك كل شى . ذلك هو الروح . نحن كائنون في وجدانه بسما وروحاً . ان من طريق وجدت انه تجذب الشمس الارض . ومن طريق جدت انه تنتقل تموجات الضوء من سيار الى سيار . وليس ذلك في الفضاء حده بل :

« ان هذا الضوء وتلك الحياة ، هذا الوجود الكامل الشعور بكل شىء ، و فى روحنا أيضاً » .

هو كامل الوجدان فى المكان . أو عالم الامتداد . كامل الوجدان فى الروح ، و عالم اللانهاية .

فمن أجل أن نحصل على وجداننا العالمى ، يجب علينا أن نوحد بين شعورنا

وذلك الشعور غير المتناهي ، المالىء لكل خلاء ، الكائن في كل شيء. والحقيقة أن التقدم الانساني الصحيح يتفق مع هذا التوسع الكلى فى مدى الشعور . فان كل ماحصلنا عليه من شعر وفلسفة وعلم وفن ودين ، انما هي وسائل تؤدى الى الذهاب بما يرمى اليه وجداننا الى عوالم أنق طبيعة ،وأوسع جنبات . إن الانسان لا يحصل على مرافق أكثر بمجرد حصوله على امتداد أوسع . وهو أبعد عن الحصول على مرافق ما من طريق السلوك الظاهرى . ذلك لان مرافقه تمتد بمقدار مايكون في كيانه من حق ،وحقيقته تقاس دائماً بنسبة المرامى التى يرمى اليها وجدانه

اننا على أية حال يجب أن ندفع ثمناً لما نحصل عليه من حرية الوجدان . وما هو هذا الثمن ؟ إنه ينحصر في أن نطرح أنفسنا بعيداً . فان روحنا لا يستطيع أن يحقق وجوده الا بانكار ذاته وفي هذا يقول اليوبانيشاد :—

« انك سوف تربح بالبذل . انك سوف لاتتشهى أو تطمع »

من نصائح « الغيتا » Gitaأن تعمل بعيداً عن حب المنفعة . وأن لا تنتظر النتيجة . على أن كثيراً من الناظرين فى هذا الامر الخارجين عن سلطانه ، يستنتجون من هذه التعاليم أن تصور العالم على اعتبار أنه غير حقيقة وأنه وهم ، شى كائن في تضاعيف ذلك الامر الذى يدعونه الغيرية والخلو من الغرض فى الهند . غير أن عكس هذا القول صحيح من كل الوجوه .

فان الانسان الذى يتطلع الى تحقيق عظمته وحده ينزل من قيمة كل شيء آخر في الوجود . فاذا قارن بين نفسه و بين بقية العالم ، خيل اليه أن تلك البقية شيء غير حقيقى . اذن فمن أجل أن يصبح الانسان مدركا لحقيقة الكل ينبغى له أن يكون حراً من كل القيود التى تقيده بها رغباته الشخصية . وهذا النظام من الواجب علينا أن نخضع له. أما اذا أردنا أن نمهد لانفسنا سبيل القيام بواجباتنا الاجتماعية ، واقتسام الاحمال التى يئن تحتها اخواننا فى الانسانية وكل جهد يصرفه الإنسان لكي يحوز حياة أوسع مدى وأرحب أفقاً ، يحتاج منه أن يصبح قانعاً « بالربح من طريق البذل وأن لا يطمع » وعلى هذا يتعين علينا أن نوسع تدرجا وحالا على حال من حيز ادراك الوحدة مع الكل، لكي نكون عاملين حقاً

لما يجب أن تعمل له الانسانية .

لم تكن اللانهاية فى الهند عدما خالياً من كل شيء . فان « ريشى » الهند قد حققوا لنا :—

« أنه من أجل أن نعرفه — الروح الاعلى — فى هذه الحياة يجب أن نكون على حق . واذا لم نعرفه ، في هذه الحياة ، فتلك وحشة الموت وظلمة الفناء »

وكيف نعرفه اذن ؟

« بأن نحقق وجوده في جزئيات الاشياء وفى الكل . »

ليس فقط فى الطبيعة ، بل في الاسرة ، وفي الجماعة ، وفى الحكومة . وكلما ازددنا تحققاً من ادراك العالم فى الكل ، فذلك خير لنا ، فاننا فى اللحظة التى نعجز فيها عن تحقيق ذلك نكون قد ولينا بأوجهنا شطر الفناء .

وما من شيء يملؤ جوانحي غبطة وسروراً وأملا عريضا في مستقبل الانسانية أكثر من تذكرى أنه مضى زمان ، منذ أقدم العصور ، وقف فيه أنبياؤنا الشعراء تحت تلك الخيوط الذهبية التى كانت ترسل بها الشمس فى السماء الهندية وحيوا العالم تحية الاعتراف بأواصر القربى التى تربط أجزاءه ، ولم يكن في هذا شيء من خيال الفكرة الناسوتية (١) لم يكن فيه شيء من مرآى الانسان منعكسا في كل مكان من صور يكبرها الوهم ويضخمها الاسراف فى المبالغة ، ولا من تخيل المأساة الانسانية تمثل منتفخة مضخمة على مسرح الطبيعة العظمى . على العكس من هذا كان فيها معنى واحد ، هو اجتياز حدود الفردية ، ليصبح الانسان أكثر من انسان . ليصبح واحداً مع الكل . ولم يكن فى ذلك شيء من الاعيب الخيال والتصور . بل كان تحرير الوجدان والادراك من ألغاز النفس البشرية ومبالغاتها المحضة . لقد شعر هؤلاء الكاشفون القدماء من أعماق عقولهم بان نفس تلك القوة التى تهتز متشكلة في صور شتى تكون أجزاء العالم ، هي بذاتها التى تظهر نفسها في أعماق وجودنا وفي صورة ندعوها الوجدان . وأنه لا انفصال للوحدة الخالدة . لم يتراء لهؤلاء الكاشفين من صدع أو انشعاب خلال رؤاهم الاشعاعية

---

(١) الفكرة القائلة بتزويد الله بشيء من الخصائص الانسانية .

لدى مرآهم الكمال الكلي . فانهم لم يؤمنوا حتى بالموت نفسه ، كقوة في مستطاعها أن تحدث صدعاً فى قوام الحقيقة .قالوا :—

« ان فى التأمل ، وتحركا فيه خلوداً » .

انهم لم يؤمنوا بفارق حقيقى بين الحياة والموت . حتى لقد قالوا قانعين :

« انه الحياة التى هى الموت » .

لقد هللوا بكل مافى جوانحهم من غبطة وسرور .

« للحياة في مظهرى الاقبال والادبار . »

« ان كل مامضى مخبوء فى الحياة ، وكذلك كل ماهو آت . »

لقد عرفوا بأن مجرد الظهور والافول أشياء سطحية كالامواج التى تتكسر على سطح البحر . ولكن الحياة التى هي باقية ، لاتعرف الانحلال ولا الانقباض

لقد نشأ كل شىء من الحياة الخالدة . وكل شىء يهتز متراوحاً مع الحياة . لان الحياة لانهاية غير محدودة .

هذا هو الميراث النبيل العظيم الذى تلقيناه من آبائنا الاولين . وأنهم ليطلون علينا من شرفة الابدية لينظروا كيف نختص بذلك المثل الاعلى من حرية الوجدان. وليس يقوم هذا المثل على قواعد من العقل وحده أو العاطفة وحدها . ان له لتكأة أدبية أخلاقية يجب أن تخرج الى حيز الفعل والتنفيذ .

قيل في اليوبانيشاد :—

« ان الذات العلية محققة الوجود فى كل الأنحاء . اذن فهى خير محض مندمج من الكل »

لنكن فى وحدة حقيقية من المعرفة والحب وتبادل المصالح مع كل شىء . ولنحقق وجودنا الذاتى فى الله ، الموجود في كل شىء . تلك هي ماهية الخير . وذلك هو جوهره . وهذا هو الباب الذى نلج منه الى تعاليم اليوبانيشاد :—

« الحياة غير محدودة »

الناسك

— ١ —

الناسك خارج الى الكهف

ان تقسيم الليالى والايام،وكذلك الشهور والاعوام ، لم يصبح من شأنى.لقد تعطل عندى مجرى الزمان الذى ترقص فوق أمواجه الدنيا،وكأنها الهشيم أوالاغصان اليابسة.فى هذا الكهف المظلم أعيش وحدى،غارقا فى طيات نفسي.والليل الابدى هادى،لا يتحرك، كبحيرة في جبل،تفرق من ذات اعماقها القصية. الماء تنضح به الصدوع ومنها يتساقط،وفى ماء البركة الراكد تسبح الضفادع القديمة.انى اجلس ارتل تعويذة اللاشىء. ان اطراف الدنيا تنكمش امامى خطاً وراء خط . والنجوم المنحوتة من قطع الزمان،المضيئة كأقباس النار،تنقرض وتفنى . أما الافتتان فلى ؛ ذلك الذى يزودنى به الآله شيفا، اذ يستيقظ بعد فترات يقضيها فى الاحلام،ليجد نفسه وحيداً منفرداً في فناء اللانهاية . أنا حر . أنا الواحد العظيم المنفرد بذاتى . عندما كنت لك عبداً،أيتها الطبيعة،أثرت بعض أجزاء قلبى ضد بعض ، و بعثتها فى حرب دموية انتحاراً فى سبيل الدنيا.وسلطت على الشهوات التى ليس لها من غاية إلا أن يأكل بعضها بعضاً،وأن تلتهم كل ما يسعه فمها ، فامضتنى ألماً وفرقا . لقد عدوت تائهاً مجنونا اتبع ظلى.لقد قذفتنى ، بما بعثت على من وميض لذائذك الخلب،الى خلاء الشهوات.أما ميولى القاهرة،وهى حبائلك واشراكك،فقداسلمت بى الى قحط بغير نهاية،حيث استحال الغذاء ترابا، والماء بخاراً .

حتى اذاما صبغت الدموع دنياى وأصبحت عندى رماداً، اقسمت قسمى ، لانتقمن منك ولأصبن عليك غضبى ، أنت ياجماع الظواهر الكاذبة المسئمة ، يامبعث الخداع الدائم . لقد احتميت بالظلام،سكن اللانهاية.وحاربت أشعة الضوء الخداعة،يوما بعد يوم،حتى افقدتها سلاحها،وتركتها هامدة خائرةالقوى،تحت قدمى والآن.بعد أن تحررت من المخاوف والشهوات.وبعد أن انكشف عن بصرى الضباب. و بعد أن اشعت قوى عقلى برئية وضاءة . فلأخرجن الى عالم الكذب والبهتان مرة ثانية،ولأجلسن على ذات قلبه،غير ملموس،ولا متزحزح عن مكانى.

***

— ٢ —

الناسك على جانب الطريق

كم هي صغيرة هذه الارض . وكم هي محصورة الجوانب . حيث تقوم الآفاق الدائمة من حولها ، ترمقها وتتبعها أينما سارت . ان الاشجار والمنازل ومجموع الاشياء القائمة من حولى تغشى على باصرتى . والضوء كقفص يحول بينى و بين اللانهاية . والساعات تقفر وتصيح داخل حدودها ، كاطيار مأسورة . ولكن لأى شيء يتدفق هذا الجمع في هذه الجلبة ؟ ولاى غرض ؟ انهم ليلوحون لى كأنهم فى خوف مستمر في فقدان شيء لن تناله أيديهم .

(تمر الجماهير)

***

يدخل قروى عجوز وامرأتان

المرأة الاولى — حقاً انك تضحكنى !

المرأة الثانية — ولكن من ذا الذى يقول انك عجوز ؟

القروى العجوز — هنالك بلهاء يحكمون على الرجال بظواهرهم .

المرأة الاولى — ما أحزن هذا ! لقد بقينا نرقب ظاهرك منذ حداثتنا . وها هو ظاهرك قد ظل كما كان طول هذه السنين .

القروى العجوز — كشمس الصباح .

المرأة الاولى — نعم . كشمس الصباح اذ تكون قرعاء صلعاء .

القروى العجوز — سيدتى . لقد تخطيتما حد النقد فى تحكيم ذوقكما . انكما انما تستلفتكما أشياء غير جوهرية .

المرأة الثانية — اتركى هذه الشقشقة يا أنانجا . لنسرع الى المنزل لئلا يغضب رجلى

المرأة الاولى — وداعا ياسيدى . نرجو أن تحكم علينا بظواهرنا . اننا لانهتم بهذا

القروى العجوز — لانه ليس لكما من باطن جدير بالكلام فيه .

(يخرجون)

* * *

يدخل ثلاثة قرويين

القروى الاول — أيشتمنى؟ذلك الوغد السافل،سوف يحزن من أجل هذا.

القروى الثانى — يجب أن يتلقى درساً عظيما.

القروى الاول — درساً يتبعه الى قبره .

القروى الثالث — نعم .يا أخى ؟ قو قلبك على هذا ولا تحجم.ولا تأخذك فيه شفقة .

القروى الثانى — لقد انتفخ وكبر .

القروى الاول — انتفخ الى حد يطلب فيه الانفجار .

القروى الثالث — ان النمل عندما تنبت له أجنحة يموت ويفنى.

القروى الثانى — ولكن.هل صممت على شىء ؟

القروى الاول — لاشىء واحد. بل مئات.ساحرثه وأبذره حرثا.سأركبه حماراً وأطوف به في المدينة ، بعد أن اصبغ خديه واجعل أحدهما اسود والآخر ابيض . سأجعل الدنيا ضيقة في وجهه،و...و....

يخرجون

* * *

يدخل طالبان

الطالب الاول — انى متحقق من أن الاستاذ «مادهب» ربح المناقشة.

الطالب الثانى — لا. ان الاستاذ «جاناردان» هو الذى ربحها .

الطالب الاول — لقد استطاع الاستاذ «مادهب» أن يؤيد وجهة نظره الى النهاية.لقد قال بان الصغير نتاج الكبير.

الطالب الثانى — ولكن الاستاذ «جاناردان» قد أثبت بالبرهان القاطع بان الصغير أصل الكبير.

الطالب الاول ـ مستحيل

الطالب الثانى ـ ان هذا جلى كوضح النهار

الطالب الاول ـ الحبوب تنتج من الشجرة

الطالب الثاني ـ والشجرة تأتي من الحبة

الطالب الاول ـ أيها الناسك، أيهما الحق؟ أيهما الاصل؟ الكبير أم الصغير؟

الناسك ـ كلاهما

الطالب الثاني ـ كلاهما ! هذا حسن. ان هذا لمقنع.

الناسك ـ الاصل هو النهاية. والنهاية هي الاصل انهما كدائرة متصلة الاطراف. أما المفاضلة الكائنة بين الصغير والكبير، فهي من جهلنا

الطالب الاول ـ جميل ! ظاهر أن هذا بسيط مفهوم. وأظن أن استاذي قد قصد اليه في مناقشته.

الطالب الثاني ـ حقاً ان هذا يتفق وما علمني استاذي .

يخرجان

الناسك ـ هذه طيور تلقط الالفاظ. فانها عندما تلتقط شيئاً من هراء القول تملأ بها أشداقها ، تشعر بانها سعيدة

***

بائعتان من بائعات الزهور تدخلان منشدتين

اغنية ـ تمر بنا بناساعات التعب والكد، والازهار التي تتفتح عنها الا كام في النهار تذبل وتسقط تحت الظلال. أردت أن احوك اكليلا من الزهر في بلولة الصباح أزين به جبيني. ولكن مضى الصباح والازهار لا تزال فوق الاغصان ، وحبيبي اختفى عن الانظار.

عابر سبيل ـ لم كل هذا الحزن ، ياعزيزتي: فان الاكاليل عند ما تهيأ، فلا تنقصنا الاعناق التي تزينها .

بائعة الزهر الاولى ـ وكذلك حبل المشنقة !

بائعة الزهر الثانية ـ انك لجريء! لماذا تقترب مني؟

عابر السبيل ـ يابنتي . انك انما تغضبين للاشيء . اني بعيد عنك بحيث يستطيع فيل أن يمر من بيننا

بائعة الزهر الثانية ـ أحقاً؟انى لمخيفة الى هذا الحد؟ ما كنت لآ كلك لوانك اقتربت منى

ويخرجون ضاحكين

* * *

يأتى سائل عجوز

السائل ـ يا أسيادى المشفقين . ارحموا ضعفى.عسى الله أن يرحمكم.اعطونى ملء يد واحدة من كوثركم ؟

يدخل شرطى ـ تحرك من هنا.ألست ترى أن ابن الوزير قادم ؟

(يخرجان)

* * *

الناسك ـ لقد انتصف النهار.و بدأت حرارة الشمس تشتد وتقوى.وتلوح السماء كأنها اناء من النحاس المحمى وضع مقلوبا فوق الافق.والارض ترسل تنهدات حارة.وزوابع الرمال ترقص فوقها.أى مناظر الانسانية تلك التى مرت أمامى؟هل في مستطاعى أن ارجع ثانية الى صغائر هذه المخلوقات،وان أكون واحداً منها ؟ كلا.فاننى حر. ليس أمامى هذه العقبة.هذه الدنيا الحافة بى . انى أعيش في وحدة بريئة نقية من كل شيء

* * *

تدخل الفتاة فازانتى ومعها امرأة

المرأة ـ أيتها الفتاة. أأنت ابنة راغو؟ ألست هي؟ يجب عليك أن تذهبى بعيداً عن هذه الطريق . ألا تعلمين انها تؤدى الى المعبد ؟

فازانتى ـ انى على أقصى بعد ممكن منها ؟ أيتها السيدة

المرأة ـ ولكننى ظننت أن طرف ثوبى قد مسك.انى ذاهبة الى المعبد لاقوم بفرض الصلاة لآلهتى،وأخشى أن تكونى قد دنست ثيابى.

فازانتى ـ أؤكد لك أن ثيابك لم تمسنى .

تذهب المرأة

انى فازانتى ، ابنة «راغو» فهل أحضر اليك يا أبتاه؟

الناسك — لم لا يا بنيتى ؟

فازانتى — انى رجس ودنس ، كما يدعوننى

الناسك — كلهم ذلك الشىء. رجس ودنس. انهم يتمرغون فى تراب البقاء. ان البرىء النقى هو الذى صفى عقله من الدنيا وارجاسها . ولكن أى جرم اقترفت يا بنيتى ؟

فازانتى — ان أبى ، وقد مات ، هزأ بشرائعهم وآلهتهم. ولم يكن ليقوم بمراسم عبادتهم .

الناسك — ولماذا تقفين بعيداً عنى ؟

فازانتى — هل تمسنى ؟

الناسك — نعم. لانه لا شىء يمكن أن يمسنى فى الحقيقة. انى دائماً سابح في اللانهاية. يمكنك أن تجلسى هنا لو تحبين ..

فازانتى تبللها الدموع

— لا تبعدنى عن جنابك أبداً، ما دمت قد سمحت بان اجلس بجوارك مرة.

الناسك — امسحى دموعك يابنتى . اننى ناسك. ليس فى قلبى حقد ولا كراهية، ولا تعلق بالاشخاص. انى لن أدعى بانك ملك لى. ولهذا فلا أستطيع أن ابعدك عنى. أنت بالقياس الى كهذه السماء الزرقاء. أنت كائنة. ولا كائنة .

فازانتى — يا أبتاه . لقد نبذتنى الآلهة والناس معاً

الناسك — وكذلك أنا فقد نبذت الآلهة ومعهم الناس

فازانتى — ألك أم ؟

الناسك — لا

فازانتى — ولا أب ؟

الناسك — لا

فازانتى — ولا صديق

الناسك — لا .

فازانتى — إذن سابقى معك . واستَ بطاردى ؟

الناسك — لقد فرغت من الترك والاخذ والادبار والاقبال . فانه يمكنك أن تظلى بجانبى . ومع هذا فلا تكونين بجانبى .

فازانتى — لست أفهم ماتقول ياأبتاه . خبرني . الا يوجد فى هذه الدنيا الفسيحة من حمى يحمينى ؟

الناسك ـ حمى ؟ ألا تعرفين أن هذه الدنيا عبارة عن هوة لاقرار لها ؟ فمجموع هذه الخلائق انما تخرج من ثقب العدم باحثة عن حمى يحميها ، ومن ثم تدخل ثانية فى فوهة الفراغ اللامتناهى ، وهنالك تفقد آثارها . هاهى أشباح الكذب والرياء تتخايل من حولك رواحاً وجيئة في سوق الاوهام والخيالات ولا تعطيناً من غذاء ، الا عدماً باطلا . انها انما تحرك فينا نهمة الجوع . ثم لا تكفينا ، ابتعدى من ثم ، يابنيتى ، ابتعدى !!!

فازانتى ـ ولكن يلوح لى أنهم سعداء جد السعادة فى هذه الدنيا ياأبتاه . الا نستطيع أن نلحظهم من جانب الطريق ،

الناسك — واأسفاه . انهم لا يفقهون شيئاً . أنهم لايرون أن هذه الدنيا موت ممتد الى اللانهاية . انها تموت كل برهة ،ومع ذلك فانها لاتصل الى غاية . ونحن ، مخلوقات هذه الدنيا ، انما نعيش ونغتذى على الموت .

فازانتى ـ انك تخيفنى ياأبتاه .

***

يدخل سائح

السائح ـ هل أجد من حمى بجانب هذا المكان ؟

الناسك ـ ليس من حمى في أى مكان يابنى ، اللهم الا فى قرارة نفسك . ابحث عن هذا . تشبث به ، ان اردت النجاة .

السائح ـ انى متعب وأرغب فى حمى .

فازانتى — ان كوخي ليس بعيداً من هنا . فهل تذهب اليه ؟

السائح — ولكن من أنت ؟

فازانتي - هل يجب أن تعرفني ؟ أنا ابنة « راغو »

السائح - ليباركك الرب يابنيتي . اني لاأستطيع البقاء

(يخرج)

***

يدخل رجال وهم يحملون شخصا في فراش

الحامل الاول - انه لايزال نائماً .

الحامل الثاني - كم هو ثقيل هذا الملعون ؟

سائح (خارج عن جماعتهم)

- من ذا الذي تحملون ؟

الحامل الثالث - « بندة » النساج . كان نائماً كميت ، وقد حملناه معنا .

الحامل الثاني - لقد تعبت أيها الاخوان . انهزه هزة عساه يستيقظ .

بندة يستيقظ

- آه . ماهذا ؟

الحامل الثالث - ماهذا الصوت ؟

بندة - اسمعوا من أنتم ؟ الى أين أنتم تحملونني ؟

(يضعون الفراش على الارض)

الحامل الثالث - ألا يمكن أن يبقى ساكناً هادئاً ، ككل الاموات الطيبين ؟

الحامل الثاني - انظروا الى رقاعته ، انه ليتكلم، ولو أنه ميت .

الحامل الثالث - لقد كان من مصلحتك ، لو أنك ظللت صامتاً .

بندة - اني حزين جد الحزن لاني كنت سبباً في تعبكم أيها الاسياد . لقد أخطأتم . لم أكن ميتاً ، بل كنت نائماً نوماً عميقاً .

الحامل الثاني - اني لأوخذ بتهور هذا الفتى وجرأته . انه لايكتفي بأن يموت ، بل يناقش أيضاً .

الحامل الثالث - انه لا يعترف بالحقيقة . اذن فلنذهب لنقوم بفرائض الاموات .

بندة - اني أحلف بنفقتك يا أخي اني حي كما أنتم أحياء .

(يذهبون به ضاحكين)

***

الناسك — لقد نامت الفتاة المسكينة واضعة ذراعها تحت رأسها الصغير .
أظن أنه يجب على أن أتركها الآن وأذهب. ولكن ! أيها الجبان. هل لك أن تفر؟
أن تفر من هذا الهيكل الضعيف ؟ ان هذا الشيء كشبكة العنكبوت فى الطبيعة،
لا خطر منها الا على الهوام ؟ لا على ناسك مثلى .

(فازانتى تستيقظ فازعة)

هل تركتنى ياسيدى ؟ هل ذهبت بعيداً عنى ؟

الناسك — لماذا أذهب بعيدا عنك ؟ أى خوف يحيط بى؟ هل أخاف شبحا أوخيالا ؟

فازانتى — هل تسمع الجلبة المنبعثة من الطريق ؟

الناسك — ولكن الهدوء ملء روحى

«*»

تدخل فتاة وراءها رجال

الفتاة — اذهب الآن . اتركنى . لاتكلمنى ياحبيبى •

الرجل الاول — لماذا ؟ أية جريمة اقترفت ؟

الفتاة — انتم أيها الرجال لكم قلوب قدت من الصخر

الرجل الاول — ليس هذا صحيحاً • لان قلوبنا اذا كانت قد قدت من جلمد ، فلماذا تصيب هنالك السهام التي يرسل بها قوس كو بيدوس ؟(١)

رجل آخر — برافو • لقد قلت حقاً

الرجل الثانى — والآن بأى شىء تجيبين على هذا ياعزيزتى

الفتاة — اجيب ! انك تظن بانه قد نطق عن حكمة • أليس كذلك ؟ انه هراء محض

الرجل الاول — اترك هذا الحكم أيها الاسياد . انى قلت الآتى . اذا كانت قلوبنا قد قدت من جلمد ؛ فلماذا ...

---

(١) اله الحب

الرجل الثالث — نعم . نعم . ليس لديها في جواب أبداً .

الرجل الاول — دعوني أفسر لكم . لقد قالت اننا معشر الرجال لنا قلوب من الصخر . أليس كذلك ؟ فقلت لها جوابا على هـذا — اذا كانت قلو بنا قـد قدت من جلمد ، فلمـاذا تصيب هنالك السهام التي يرسل بها قوس كو بيدوس ؟ أتفهمون ؟

يا أخي ! لقد ظللت أبيع العسل كل يوم في المدينة مدى العشرين عاما الفارطة فهل تظن بعد هذا اني أعجز عن فهم ماتقول ؟

(يخرجون)

«*»

الناسك — ماذا تفعلين . يابنيتي ؟

فازانتي — انظر فى راحة يدك العريضة ياأبتاه • ان يدى كطائر صغير يبحث عن عشـه فيها • ان راحة يدك كبيرة ، كالارض العظيمة التي تسع كل الاشياء • ان هذه الخطوط كالانهار ، وهذه البقاع كالتلال •

(وتضع خدها فى راحة يده)

الناسك — ان ملمسك لين يابنيتي ، كسنة النوم الجميلة • يلوح لى أن في هذه اللمسة شيئاً من الظلام العظيم الذى يمس الروح بعصـا الابد السحرية• ولـكن ! انك فراشـة النهار يابنيتي • لك طيورك وأزهارك وحقولك • ماذا تستطيعين أن تجدى في • أنا الذى وجدت مركزى فى « الواحـد » ومحيطى في « اللامكان » ؟

فازانتي — لا أرغب فى شيء أكثر مما أنا فية • ان حبك يكفيني •

الناسك — ان الفتاة تتصور أنى أحبها ! ياله من قلب أخرق ! إنها لسعيدة بهذه الفـكرة • لتستمرئها • انهم قد نشـؤوا فى الاوهام • ويجب أن يتزودوا بها ليجدوا السلوى •

فازانتي — يا أبتاه • أترى هـذه النبتة المتسلقة التى تنساب على الحشائش، تبحث عن شجرة لتلتف حولها • انها نبتتى . لقد تعهدتها ورويتها منذ أن

أطلت من ترابها فكانت ورقتان يلعب بهما الهواء ، كصرخة الطفل المولود • ن هذه النبتة هى أنا • لقد نبتت بجانب الطريق ، حيث كان من السهل أن تدقها الاقدام • هل ترى هـذه الازهار الصغيرة الجميلة فاقعة الصفار بزرقة تشوبها بقع بيضاء في أواسطـها ؟ ان هـذه البقع البيضاء هى أحلامها • اسمح لى أن أمسح جبهتك بهذه الازهار • أما أنا فأرى أن كل الاشياء الجميلة هى بمثابة منافذ يمتد منها بصرى لأرى مالم أره ، ولاعرف مالم أكن أعرف

الناسك — لا • لا • ما هو جميل ليس الا وهما يتسلط علينا • أما لدى الذين يعلمون ، فالتراب والزهرة شيء واحد • ولـكن ! أى خمول هذا الذى أشـعر به يتمشى فى مفاصـلى وشعاعى مسـدلا على عينى حجابا رقيقا تتخايل لى فيه الوان قوس قزح • أهى الطبيعة بذاتها تنسج أحلامها من حولى ، متكاثفة أمام حواسى ؟

(ثم يسرع الى النبتة فيمزقها ثم يقول)

لا أريد مزيدا من هذا • لان هذا موت • أى لعب هذا الذى تلعبين معى أيتها الفتاة • انى ناسك • لقد فككت كل قيودى • انى حر • كلا • كلا • ليست هذه الدموع • إنى لا احتمل منظرها • ولكن لى أية ناحية من نواحى قلبى كان يختبىء هذا الثعبان • هذا الغضب الذى بعث بأزيزه الخوف فى الظلام من بين انيابه ؟ لا انه لم يمت بل ظل حياً على الرغم من ارهاقه بجوعاً • هذه مخلوقات جهنم تفرقع هيا كلها العظمية راقصة بين طيات قلبى ؛ بينما تعزف رئيستها، وساحرتها العظمى ، على قيثارتها السحرية • لا تبكي يابنيتى • تعالى إلى • انك لتلوحين لى كصرخة أليمة بعث بها عالم مفقود ، أو أغنية ينشدها نجم يسبح فى تيه قصى بعيد • انك تمثلين لعقلى شيئا ، هو في ذاته أشد دلالة على اللانهاية من هذه الطبيعة أعظم من الشمس ومن النجوم • إنه ليبلغ من العظمة مبلغ الظلام • انى لا أفهمه • إنى لم أعرفه أبداً ولهذا ! فانى أخافه • يجب على أن اتركك • ارجعى من حيث أتيت • أنت يارسول العالم المجهول.

فازانتى — لاتتركنى يا أبتاه ليس لى من أحد غيرك •

الناسك — يجب على أن أذهب . لقد ظننت بأنى عرفت . غير أنى تبينت انى لم أعرف . ولكن الواجب على أن أعرف . أنى أتركك ، لا أعرف من أنت ؟

فازانتى — يا أبتاه . اذا تركتنى فانى أموت

الناسك — أتركي يدى لاتلمسينى . يجب أن أكون حراً

(ويعدو مبتعدا)

***

— ٣ —

(يرى الناسك جالسا على صخر فى ممر جبلي ويمر به غلام يرعى الاغنام وهو يغنى)

اغنية — لا تحولى عن وجهك يامحبوبتى ، فالربيع قد فتح صدره ليتلقانا ، والازهار تنبذ أسرارها فى الظلام ، وخفيف أوراق الغابة يتمشى بين طباق السماء ، كدموع الليل . الى يا حبيبتى أرينى وجهك الجميل

الناسك — ان ذهب الاصيل ينصب سائلا فى جوف البحر اللازوردى . والغابة القائمة بجانب التل ، ترشف آخر كأس من كؤوس النهار . وعن شمالى : ترى أكواخ القرية من خلال التلال وقد تراءت من بينها أنوار المساء كأم مقنعة ، تسهر بجانب طفلها النائم . أيتها الطبيعة . انك أمى . لقد بسطت أمامى بساطك الكثير الألوان فى هذه الحجرة العظيمة التى أجلس فيها منفرداً كملك ، لارقبك وأنت ترقصين بعقدك المصوغ من النجوم الوضاءة يتلألأ فوق صدرك الرحيب

(*)

راعيات أغنام يمررن منشدات

نشيد الراعيات

أصوات الموسيقى تنبعث عبر النهر المظلم وتدعونى

كنت فى سكنى . وكنت سعيدة

ولكن القيثارة صدحت بصوتها الشجى فى هواء الليل الساكن

فتغلغل الألم الى نياط قلبى

آه . دلنى على الطريق أنت يامن تعرفها
عرفنى أى سبيل أسلك اليه
فسأذهب اليه حاملة زهرتى الصغيرة
وأتركها عند قدميه
وأقول له ان موسيقاه ومن أحب ، في غلاف واحد

(يخرجن)

***

الناسك — اظن ان هذه الليلة لم تصادفنى سوى مرة واحدة خلال كل تجسداتى السابقة . لقد ملىء كأسها حتى النهاية فكان حباً وكان موسيقى . جلست وشخصاً تذكرنى نجمة الليل بملامح وجهه . ولكن ! اين فتاتى الصغيرة بعينيها السوداوين الحزينتين المملوءتين دموعاً ؟ اهى هنالك ؟ جالسة خارج الكوخ ترقب نفس هذه النجمة من خلال وحشة هذا الليل العميق ؟ ولكن النجمة لابد من ان تأفل ، ولا بد لليل من ان يغمض عينيه اذا ادركه الصباح . والدموع والتنهدات العميقة لابد من ان يهدىء النوم ثورتها . لا ! فلست براجع . فلتأخذ احلام الدنيا مايلذ لها من صور . فلاتركها ولا اعترض سبيلها ، فاخلق اوهاما جديدة . سأرى ، وافكر ، واعرف .

*
* *

(تدخل فتاة فى آمال)

الفتاة — انت هنا ياابتاه ؟

الناسك — تعالى ايتها الابنة واجلسى بجانبى . كنت ارغب فى ان اكون جديراً بهذا اللقب الذى تدعونى به . ان شخصاً كان يدعونى بهذا اللقب من قبل . وكان صوته يشبه صوتك . فلاب يجاوب الآن . ولكن اين الذى كان يدعوه ؟

الفتاة — من انت ؟

الناسك — انا ناسك . خبرينى يابنيتي : ماذا يصنع ابوك ؟

الفتاة — انه يجمع العصى من الغابة .

الناسك — وانت لك ام ؟

الفتاة — لا . فانها ماتت فى حداثتى .

الناسك ـ هل تحبين أباك ؟

الفتاه ـ أحبه أ كثر من كل شىء آخر فى هذه الدنيا . وليس لى من أحد سواه .

الناسك ـ انى أفهمك . اعطنى يدك الصغيرة . دعينى أقبض عليها فى راحتى . فى راحتى الكبيرة هذه .

الفتاة ـ أيها الناسك . هل تقرأ الكف ؟ هل تقدر على أن تقرأ فى كفى ماذا أنا ، وما سأكون ؟

الناسك ـ أظن أنى قادر على أن أقرأ . ولكن لاأفهم المعنى الا غراراً . و يوما ما ساعرفه .

الفتاة ـ الآن يجب أن أذهب لالتقى بأبى .

الناسك ـ وأين ؟

الفتاة ـ حيث يذهب الطريق نحو الغابة . انه يفتقدنى اذا لم يجدنى هناك .

الناسك ـ قربى رأسك منى يابنيتى . دعينى أطبع على جبينك قبلة الرحمة والسلام قبل أن تذهبى .

تذهب الفتاة

***

تدخل أم بطفلها

الام ـ ما أقوى أولاد ميزرى ؟ أجسامهم رابية . أن المرأ ليسر من مرآهم . أما أنتم فكلما زدتكم غذاء ازددتم نحولا يوماً بعد يوم .

البنت الاولى ـ ولكن لماذا تلومينا كل يوم من أجل هذا ياأماه . هل هذا شىء طوع يدنا ؟

الام ـ ألم أنصح اليكما أن تأخذا قسطاً من الراحة كبيراً ؟ ولكنى لم أركما

لا متحركتين كأنكما دولاب في عمل ٠

البنت الثانية ـ اننا انما نتحرك تنفيذاً لاوامرك يا أماه ٠

الام ـ كيف تجرئين على أن توجهي ألى جوابا كهذا ؟

الناسك ـ الى أين أنتن ذاهبات يا أختاه ٠

الام ـ تقبل سلامي أيها الاب ٠ ذاهبات الى البيت ٠

الناسك ـ كم عددكن ؟

الام ـ أم زوجي وزوجي وطفلان بخلاف هاتين ٠

الناسك ـ كيف تقضون أيامكم ؟

الام ـ أكاد لا أعرف كيف تمر بي الايام ٠ ان زوجي يذهب الى الحقل ؛ وعندي منزلي أدبر أمره ٠ وفي المساء أغزل مع ابنتيَّ الكبيرتين ٠

(ثم تقول للبنتين)

ـ اذهبا وحييا الناسك ٠ باركهما أيها الاب ٠

(يذهبن).

***

(يدخل رجلان)

الرجل الاول ـ أيها الصديق ٠ ارجع من هنا ٠ لا تتقدم خطوة واحدة ٠

الرجل الثاني ـ نعم اني أعرف ٠ فان الاصدقاء لا يلتقون في هذه الدنيا الا مصادفة ٠ والمصادفة تؤنسنا جزء من الطريق ٠ ثم تأتي البرهة التي يجب أن نفترق فيها ٠

الصديق الثاني ـ دعنا نؤمل في أننا نفترق الآن لنلتقي ثانية ٠

الصديق الاول ـ ان التقاءنا وافتراقنا انما يرجع الى حركات هذا العالم ٠ فالنجوم ليس من شأنها أن تهتم بنا ٠

الصديق الثاني ـ دعنا نحيي هذه النجوم اللوامع التي قذفت بنا الى صداقة بعض ٠ ولو صداقة لحظة واحدة ٠ فانها مع ذلك كانت عطاء بجود ٠

الصديق الاول ـ انظر إلى ما وراءك برهة واحدة قبل أن تذهب ٠ هل

تقدر أن ترى ذلك البريق الضئيل الذى ينبعث من الماء خلال الظلام ، ومن وراء الاشجار الكازورينا التى تغشى على شاطىء الرمال ؟ ان قريتنا تلوح مثل كتلة واحدة من الاشباح المظلمة . انك لاترى سوى الاضواء . هل تستطيع أن تعرف أى ضوء من هذه هو ضوءك ؟

الصديق الثانى — ان هذا الضوء هو آخر نظرة من نظرات الوداع تلقيها أيامنا الماضية على ضيفها المفارق . وبعد هذا بقليل لايبقى من شىء اللهم الا دامس الظلمات

(يذهبان فى طريقهما)

الناسك — لقد بدأ الليل يحلك ظلامه ، وتشتد وحشته . انه يتربع على هامة الوجود كأنه امرأة مهجورة. أما هذه النجوم ، فدموعها استحالت ناراً .

آه يابنيتى . لقد ملأت أحزان قلبك الصغير كل ليالى حياتى بالالم المضنى ، والى الابد . ان يدك الجميلة قد تركت لمستها الرقيقة فى نسيم هذا الليل . انى أشعر بها على جبينى . ياحبة القلب . ان تنهداتك قد تبعتنى لما أن فررت بعيداً ، وتعلقت بقلبى . ولسوف أحملها حتى مماتى .

*

* *

— ٤ —

(الناسك على ممر القرية)

لتذهب عنى عهود النسك . انى أحطم هراوتى وصندوق صدقاتى . ان هذه السفينة الفخمة ، هذه الدنيا التى تعبر بحر الزمان ، تبتلعنى ثانية . ولاشارك المهاجرين مرة أخرى .

أيها البلهاء . أنتم يامن تطمعون فى النجاة بأن تسبحوا وحدكم ، منكرين ضوء الشمس والكواكب ، ظانين أنكم تهتدون الى الطريق بمصباحكم الذى تضيئه فراشة . الطير يحلق في السماء ، لا ليذهب في تحليقه الى الخلاء ، بل ليرجع ثانية الى أرضه العظمى . أنا حر . انى حر من القيود . تحررت من الاشياء ، ومن الصور ، ومن الاغراض . المتناهي هو حقيقة اللامتناهي . والحب يعرف حقيقته

يافتاتى ! انك روح كل ماهو كائن ! لااستطيع أن أتركك :

*

* *

(يدخل قروى عجوز)

الناسك — هل تعرف ايها الاخ اين هى ابنة راغو؟

العجوز — لقد تركت القرية ، ونحن مسرورن بذلك

الناسك — والى أين ذهبت ؟

العجوز — أو تسأل الى أين ؟ انه يستوى عندها كل شيء أية سلكت ؟

— يخرج —

الناسك — ان حبة قلبي قد ذهبت تبحث عن مكان فى خلاء اللامكان. انها ستعثر بى .

***

.. يدخل جمع من أهل القرية —

الرجل الاول — وهكذا . سيتزوج ابن ملكنا هذه الليلة .

الرجل الثانى — هل تستطيع أن تخبرنى عن ساعة الزفاف ؟

الرجل الثالث — ساعة الزفاف يسأل عنها الزوج والزوجة . أى شأن لنا فى أن نسأل عنها .

امرأة — ألم يفكروا في أن يعطونا فطيراً ابتهاجا بهذه الساعة السعيدة .

الرجل الاول — فطيراً !انك لبلهاء .ان عمى يعيش في المدينة . وقد أخبرنى بأننا سنعطى شيئاً من خاثر اللبن وأرزاً مسلوقاً .

الرجل الثانى — هذا عظيم .

الرجل الربع — ولكننا بطبيعة الحال سنسقى من الماء أضعاف مانعطى من خاثر اللبن . لابد من أن تتأكدوا من ذلك .

الرجل الاول — انك «ياحوتى» لشاب غبى ! أنعطى ماء في آنية اللبن في في زفاف الامير ؟

الرجل الرابع — ولكننا لسنا امراء ياباتشو . اما لامثالنا الفقراء ، فان اللبن فى نيته ، بحيلة ما ، تستحيل اكثر اجزائه ماء .

الرجل الاول — اسمعوا . ان ابن ذلك الرجل الذى يصنع الفحم الخشبى لايزال مكبا على عمله . اننا لايجب ان نسمح بهذا ابداً .

الرجل الثانى — سوف نحوله الى فحم هو بذاته ، اذا لم ينقطع عن العمل.

الناسك — هل يعرف احد منكم ابن ابنة راغو ؟

المرأة — لقد ذهبت بعيداً عنا .

الناسك — الى أين ؟

المرأة — هذا مالا نعرفه .

الرجل الاول — أما المؤكد فانها ليست عروس أميرنا !!

— يخرجون ضاحكين —

«*»

— تدخل امرأة ومعها طفل —

المرأة — اقدم اليك احترامى ياابت . اسمح لهذا الطفل بأن يمس رأسه قدميك . إنه مريض . باركه ياابتاه

الناسك — يابنيتى . لم اعد بعد ناسكا . لاتسخرى منى بتحياتك .

المرأة — اذن فمن أنت ؟ وماذا تفعل هنا ؟

الناسك — انى ابحث .

المرأة — تبحث عن ؟

الناسك — ابحث عن دنياى لاردها الى حظيرتى . هل تعرفين ابنة راغو ؟ اين هي؟

المرأة — ابنة راغو ؟ لقد ماتت .

الناسك — كلا لايمكن ان تكون قد ماتت ! كلا . كلا . أبداً

المرأة — ولكن فى اى شيء يعنيك موتها ايها الناسك الزاهد ؟

الناسك — لايعنينى وحدى ، انه يكون موتا للجميع .

المرأة — لااستطيع ان افقه ماتقول .

الناسك — لايمكن ان تكون قد ماتت . ابداً . ابداً .

— ثم يتبلق الجبل فى سكون —

ادراك الروح

لقد رأينا من قبل أن آمال أهل الهند القديمة قدانحصرت في أن يعيشوا ويتحركوا ويجذلوا في براهما ، الذى هو الروح الكلى الادراك ، الموجود في كل مكان ، وذلك بأن يوسعوا من أفق ادراكهم ليشمل العالم كله . ولكن قديقال بأن هذه مهمة الحصول على غايتها متعذر المنال مستحيل التنفيذ . فاذا كان شمول هذا الادراك عبارة عن طريقة تنفذ في الخارج ، فهنالك تكون بلا نهاية . وما مثلها الا كمثل من يريد أن يعبر المحيط الاوسط فيعمد الى مائه ينزحه ليتركه يبساً . وقد يقال أن الانسان اذا بدأ بأن يعمل في سبيل أن يحقق الكل ، فلابد من أن ينتهى من غير أن يحقق شيئاً .

غير أن هذا الامر ليس فيه من البعد عن أحكام العقل بقدر مايلوح فى ظاهره . فان الانسان يجهد نفسه كل يوم ليحل تلك المعضلة ، معضلة الاستزادة من مدى عالمه الذى يعيش فيه ، وفي حفظ موازنة تلك الاثقال التى تقع على أكتافه . أما أحماله فكثيرة وانها لمتعددة ، حتى إنه ليعجز عن حملها ، مالم يلتمس طريقة يستطيع بها أن يخفف من ثقل حمله . وكما شعر أن أثقاله عظيمة غير محمولة ، عرف أن ذلك راجع الى عجزه عن أن يقف على سر تلك الطريق التى يستطيع أن يضع بها كل شيء في موضعه ، وأن يوزع الاحمال على وجه التوازن والمساواة . وما البحث وراء تلك الطريق ، الا البحث وراء الاندماج والوحدة ، وراء الالفة والاتساق . ان الشيء الذى نحاول أن نحصل عليه هو التأليف بين أجزاء الاخلاط المتنافرة التى تختص بها الاشياء الخارجية ، بفضل تعديل باطنى . على اننا لانلبث فى درج بحثنا أن نشعر شيئاً فشيئاً بأننا من أجل أن نعثر على الواحد فلا بد من أن نحصل على الكل ، وأن فى هذا ينحصر كل ماننشد من غايات عظمى ، وفوائد اجلى . وكل مافى هذا الامر راجع الى قانون تلك الوحدة التى اذا عرفناها ، أصبحت منبع قوتنا ، وأصل عظمتنا . أما مبدؤها الحى فتلك القوة التي تتضمنها الحقيقة ، حقيقة تلك الوحدة التى ندرك الكثرة والتنويع بل وتتضمنها . ان صور الواقع كثيرة ، ولكن الحقيقة واحدة . فان

ذكاء الحيوان يدرك أوجه الواقع ، في حين أن العقل الانسانى في مستطاعه أن يدرك الحقيقة . فالتفاحة تسقط من الشجرة ، والمطر يقع على الارض. تلك أوجه من الواقع يمكنك أن تشحن بها ذا كرتك من غير أن تصل الى نهاية أو آخر . ولكن اذا وصلت الى معرفة قانون الجاذبية ، فانك بمعرفة هذه الحقيقة الغائية تستغنى عن تلك الضرورة التى تدعوك الى الوقوف على أوجه الواقع . انك انما تكون قد وصلت الى حقيقة تتضمن من أوجه الواقع عدداً لانهاية له . على أن استكشاف الانسان لمثل هذه الحقيقة لمبعث للجذل يفيض على قلبه ، وسبب للتحرر من الاوهام يمتع به عقله . لان مثل وجه بذاته من أوجه الواقع كمثل درب مسدود الجنبات لايسلم الى غيره من الدروب والطرق . ولكن الحقيقة تفتح أمامنا أفقاً برأسه ، وتقودنا الى اللانهاية . وهذا هو السبب فى أن حقيقة عامة بسيطة كتلك التى استكشفها رجل مثل داروين فى عالم البيولوجيا ، لاتقف آثارها عن حد ذلك العلم وحده ، بل تكون كمصباح ينثر أنواره المضيئة المشعة الى أبعاد أقصى بكثير من الابعاد التى أشعل لاجل اضاءتها ، فينير كل ذلك الحيز الذى تنطوى عليه الحياة الانسانية والفكر ، ويستعلى بأغراض الانسان الى أطباق المثل العليا . لهذا نجد أن الحقيقة فى حين أنها تتضمن أجزاء الواقع ليست فى الوقت ذاته مجرد ايلاف بين تلك الاجزاء ، بل هى تفوق تلك الاجزاء متناثرة ومجتمعة ، وتشير إلى حقيقة اللانهاية .

الانسان فى عالم المعرفة ، كما هو فى عالم الادراك تماماً ، يجب عليه أن يحقق على وجه من الدقة والضبط وجود حقيقة مركزية تزوده بمدى من النظر يمتد الى أقصى الابعاد الممكنة . وهذا هو الغرض الذى ترمى اليه اليوبانيشاد اذ تقول .

« أعرف ذات روحك »

أو بعبارة أخرى . حقق مبدأ الوحدة العظمى الذى هو كائن فى تضاعيف كل بشر .

ان كل القواسر التى تسوقنا فى سبيل الانانية ، ورغباتنا التى يتمثل فيها حب الذات ، عاقتها أشياء تغشى على أبصارنا بما يمنع علينا أن نرى الروح .لان هذه

لاشياء فى الواقع تدل الى مجال أنفسنا الضيق . أما اذا كنا شاعرين بروحنا فاننا هنالك ندرك حقيقة الوجود الباطن الذى يستعلى على نفوسنا ،والذى هو ذو رابطة أمتن من الكل ، وآصرة أدنى الى النهاية .

عند ما يبدأ الاطفال فى تعلم الحروف الهجائية كل حرف منها قائم بنفسه لايدركون شيئا من اللذة ولايشعرون بغبطة . لانهم فى الواقع بعيدون عن معرفة الغرض الحقيقى الذى يرمى اليه هذا الدرس . والحقيقة أن هذه الحروف اذا استرعت كل انتباهنا ، على أنها وحدات قائمة بذاتها وأشياء منفصل بعضها عن بعض . أنهكتنا وزادتنا سأماً . على أنها تصبح نبعاً للجذل لا ينضب اذا اجتمعت فكونت كلمات وجمل وجملت معانى .

وهكذا الحال مع روحنا ، فانها عندماتنتزع من حيزها وتسجن بين جدران ضيقة ، حدودها النفس الانسانية ، تفقد خطرها وعظمتها . ذلك لان ماهيتها هى الاندماج والوحدة . ان الروح انما يجد الحقيقة بين ذاته وبقية الاشياء ، ولن يستطيع ذلك الافى حلة الفرح والافتتان . لقد اضطرب الانسان والتوى عليه الامر ، لعاش فى خوف ورهبة طوال تلك العصور التى امتنع عليه خلالها أن يستكشف اتساق الناموس فى الطبيعة . لقد ظلت الدنيا أجنبية عنه وهو اجنبى عنها حتى آخر عهده بتلك الحال . اما الناموس الذى كشف له عنه فليس بشىء اللهم سوى ادراك تلك الالفة الكائنة بين العقل ،الذى هو روح الانسان وبين النظامات العالمية . هذه هي الرابطة الوحدة التى يتصل الانسان من طريقها بالعالم الذى يعيش فيه ، وانه ليشعر بافتتان أخاذ عندمايكشف عن هذه الرابطه ، لانه اذ ذاك يحقق وجوده مندمجاً فى تضاعيف مايحيط به من الاشياء .

مفروض علينا ، اذا ماأردنا ان ندرك حقيقة اى شىء ، ان نعثر فى ذلك الشىء على مبدأ يكون فى ملكنا وحيازتنا . ولهذا نجد أن استكشافنا لذواتنا ، خارجاً عن حيزنا ، هو الذى يفتتنا ويبعث فينا الغبطة والسرور . هذه علاقة من الفهم جزئية لاغير . أما علاقة الحب فكاملة . فى جو الحب تنتفى الفروق . وهنالك فى حيز الكمال ، يصل الروح الانسانى الى اغراضه مستعلياً على حدود

النفس ، متخطياً عبر الباب الى عالم اللانهاية . إذن فالحب هو اعظم النعم التى في قدرة الانسان أن ينشدها. لإن عن طريق الحب وحده ، يستطيع ان يدرك ان فى الحقيقة أكثر من نفسه ، وانه واحد مع الكل .

مبدأ الوحدة ، الذى يحوزه الروح الانسانى ، لاينفك في حركة دائمة ونشاط مستمر ، ناسجاً خيوطاً من العلاقات المختلفة تصل بين أقصى الأبعاد وأوسع الرحاب ، من طريق الأدب والفن والعلم والجماعات الانسانية والسياسية والدين .

إن أعظم من أوحى الينا بشىء فى هذه الدنيا هم أولئك الذين أظهروا لنا المعنى الحقيقى للروح ، من طريق انكار النفس ، لاشىء إلا لحب النوع الانسانى وخيره . لقد واجهوا كل مفزع ، وحملوا كل اضطهاد ، وصبروا على الفاقة والذل ، وذاقوا الموت ، خدمة لقضية الحب العام . انهم حبوا حياة الروح لاحياة النفس وبذلك دلونا على الغاية الاخيرة التى تسعى اليها الانسانية . اننا ندعوهم « مهاتما » أى .

(الرجال ذوو الارواح الكبيرة » .

قيل فى اليوبانيشاد :

(إنك لاتحب طفلك لانك ترغب فيه ، بل انك تحبه لأنك فى الواقع ترغب فى روحك أنت) .

ومعنى هذا أننا فى كل من نحب إنما نجد أرواحنا متجلية بكل معانى التجلى والظهور . وإن الحقيقة الأخيرة التى يدور من حولها وجودنا تنحصر في هذا وحده . إن « البراماهاتما » — أى الروح الأعلى — كائن فيَّ كما هو كائن في روحى ، وإن افتتانى بولدى تحقيق عملى لهذه الحقيقة .

إن من الحقائق العامة التى يشترك فى الاعتقاد بها كل الناس ، والتى يكون من الغرابة ان نفكر فيها متأملين ، ان مسرات من نحب وأحزانهم انما هي مسرات لنا وأحزان . ولكن ! انها في الواقع أكثر من هذا . لماذا ؟ لاننا بهذه

لأحزان وتلك المسرات، قد اتسع أفقنا وكبرت ذاتيتنا ، واستطعنا أن نلمس تلك الحقيقة العظمى التي يكمن الكون كله في تضاعيفها .

وقد يتفق كثيراً أن يصبح حبنا لأولادنا ولأصدقائنا أو لغيرهم ممن نحب عائقاً لنا عن تحقيق ذاتيتنا الروحية لأبعد من هذا . انه مما لامشاحة فيه ، أن مثل هذا الحب يزيد من المرامي التي يرمي اليها وجداننا . غير أنه في الوقت ذاته يقيم حول الوجدان حدوداً تمنع عليه أن يتخطاها الى آفاق أرحب . ومع كل هذا فانها أولى الخطا التي يخطوها الانسان في هذا السبيل . على اننا لاننسى أن تيه الروح لايكون الافي هذه الخطوة ، لانها تظهرنا على الحقيقة التي تنطوي عليها طبيعة روحنا ، وفيها نعرف أعظم الجذل انما ينحصر في أن نفقد أنفسنا الشهوية وانانيتنا ، وفي أن نحقق بجانب هذا الفقدان، الوحدة مع غيرنا .وهذا الحب يزودنا بقوة جديدة ونفوذ في البصيرة وصفاء في العقل يصل بنا إلى ابعد تلك الحدود النصية التي تدور من حولها . ولا جرم أن الحب يعجز عن أن يزودنا بهذه الاشياء اذا فقدت تلك الحدود مرونتها ووقفت حلائلا بين روح الحب أن يمتد أفقه ويتسع مداه . هنالك تصبح صداقتنا مجرد حوائل وموانع وتصبح أسرنا غارقة في الانانية سابحة في مكدات لايقدر الانسان أن يعيش محوطاً بها ، وتصبح الامم ضيقة مجال النفس غير حرة الضمير ، فتنوء بما في طبيعتها من عدوان وعسف على اكناف غيرها من الامم والسلالات . ولامثل لهذا الامثل من يضع نوراً مشعلا في مكان محكم الغلق . فان النور يظل مضيئاً ساطع اللمعان حتى تجتمع من حوله الغازات فتنطفيء الشعلة . غير أن هذه الشعله مع كل هذا ، تكون قد برهنت على حقيقتها قبل أن تنطفيء ، وعرفتنا كيف يكون الفرق بين جذل الحرية و بين تلك الظلمات .

من مبادىء « اليوبانيشاد » أن الطريق المؤدى الى الادراك العالي أو الادراك الآلهي ، هو طريق الادراك الروحي . فان معرفة روحنا وتحقيق وجودها بعيداً عن قواسر النفس الشهوية ، هي أولى الخطا التي نخطوها في تلك السبيل التي نحقق فيها عتقنا الاخير وتحررنا الاعلى . يجب أن نعرف ونوقن بكل معاني

اليقين ، بأننا فى جوهرنا الحقيقى روح لاغير . ولن نصل الى هذا اليقين إلا بأن نتسود على النفس ونستعبدها بأن نتعفف وأن نستعلى على رذائل الكبرياء والطمع والخوف ، وأن نوقن بأن الخسائر الدنيوية بما فيها الموت الطبيعى ، لن تنتقص شيئاً من حقيقة الروح وعظمتها . فان الفرخ الصغير عند مايخرج من ظلمات البيضة المستقلة الوجود ، يعرف بأن القشرة الصلبة التى كانت تغطيها لم تكن في الواقع جزءاً من حياة البيضة نفسها . فان هذه القشرة شيء ميت ، لا ينمو ، ولا يمكن أن يشف عن شيء من الامتداد الواقع وراءها . غير أنها على جمالها وحسن تناسقها يجب أن تكسر وتحطم وأن تقتحم أسوارها حتى يمكن الحصول على الحرية الكائنة وراءها . وهنالك يتحقق الغرض من حياة الطاير الصغير .

في اللغة السنسكريتية يسمى الطير « بالمولود مرتين » وهذا يسمى فيها الرجل الذى يظل محافظاً على نظامات ضبط النفس والتأمل مدى اثنى عشر عاماً ، على شرط أن يصبح ساذج المطالب نقى القلب ، مستعداً لأن يحمل كل مسئوليات الحياة فى سعة من الروح بعيدة عن التأثر بالانانيات . انه اذ ذاك يعتبر أنه « ولد مرة أخرى » خارجاً من ذلك السياج الذى كانت تحوط به مطالب النفس العمياء الى حرية الحياة الروحية ، وأنه أصبح فى صلة حيوية مع مايحيط به من الاشياء وأنه أصبح واحداً من الكل .

لقد حذرت قرائى من قبل ، كما أحذرهم الآن ، من أن يعتقدوا فكرة أن الهند وحكماءها قد بشروا للناس بانكار الدنيا وانكار النفس ، مما لا يقود خطواتنا الا الى عالم من السلب لا نعثر فيه الا على خلاء صرف غير متناه . ان مرماهم كان تحقيق الروح ، أو بعبارة أخرى ، حيازة الدنيا بادراك الحقيقة الكاملة لما قال المسيح عيسى بن مريم « طوبى للمتواضعين لانهم سيرثون الارض » لم يقصد الى شيء سوى هذا . انه أعلن الحق . لأن الانسان عند مايتحرر من كبريائه نفسه، فانه بذلك يصل الى ميراثه الانسانى ، ولم يبق له من حاجة لأن يقاتل فى سبيل أن يحصل على مقامه الدنيوى . لأن مقامه يصبح فى تلك الحال مصوناً أينما حل وكان ، بما اكتسب روحه الخالد من حق ثابت فان كبرياء النفس انما

نعطل خصائص الروح ، الذى يعمل دائما على أن يحقق وجوده باكمال وحدته مع الدنيا ورب الدنيا .

يقول بوذا فى موعظته الى صاذوسمها : —

« حقاً « ياسمها » انى أبغض ضروب النشاط والحركة ؛ ولكن تلك الضروب التى تقودنا الى الرذائل فكراً وعملا . حقاً « ياسمها » انى أبشر بالفناء . ولكن فناء الكبرياء والشهوة والافكار السيئة والجهل . لا التسامح والعفو والحب والتصدق والحق »

إن مذهب الخلاص الذى بشر به بوذا قد انحصر فى التحرر من ربقة « الافيديا » . اما الافيديا فذلك الجهل الذى يظلم الادراك ، ويعمل دائما الى أن يحصره فى حدود النفس الانانية « ان الافيديا » وبالأحرى الجهل أو تحديد الادراك ، هو الذى يمزق وحدة النفس . وبذلك تصبح النفس مبعث الكبرياء ، ونبع الطاغية ، وأصل القسوة ، التى هي لزام الانانية وحب الذات .

عند ماينام الانسان فاذ ذاك يكون مأسوراً فى المجال الضيق الذى تفرضه عليه حياته الطبيعية . أنه يعيش . ولكنه فى هذه الحالة لايمكنه أن يدرك أوجة العلاقات المتباينة التى تربط بين حياته وبين ما يحيط به من الاشياء . ولهذا لايستطيع أن يدرك نفسه: وكذلك الحال اذا عاش الانسان حياة « الافيديا » فانه يكون أسير نفسه . ذلك هو النوم الروحى ، الذى يكون فيه ادراكه غير كامل القدرة على معرفة الحقيقة العظمى التى تحيط به مظاهرها ، وبذلك لا يكون قادراً على إدراك روحه أما اذا حاز « البوذى » أى اليقظة من نوم النفس ، واستكمال الادراك ، فانه اذ ذاك يصبح « بوذا »

التقيت ذات يوم بناسكين من طائفة دينية ما ، فى قرية ببنجال . فسألتهما « أتستطيعان ان تخبرانى فى أى شيء تنحصر أخص مظاهر دينكما » أما احدهما فقد تردد برهة ثم أجابنى : « انه ليس من الهين ان أحدد ذلك » . أما الآخر فقال « كلا . فان هذا سهل هين . اننا نعتقد أنه يجب علينا أولا أن نحرر روحنا بارشاد معلمنا الروحانى . وبعد ان نستكمل تلك المعرفة ، نستطيع ان نعثر عليه . الذى هو الروح الأعلى حالا فينا » فسألته : ولماذا لاتبشر بهذه الحقيقة لكل

من فى الارض » فقال « ان كل من يحس بالعطش لا بد من أن يحضر بنفسه ليستقى من النهر » فسألته « أو تجد الحال كما تقول ؟ هل هم قادمون » ؟ فارتسمت على اساريره ابتسامة حلوة ، ثم قال فى هوادة من الاعتقاد لا يشوبها قلق ولا ضيق صدر : « يجب عليهم أن يقدموا الى النهر، أفراد وجماعات » .

نعم . انه على حق . ذلك الناسك الساذج الذى يعيش فى ريف بنجال . فان الانسان على التحقيق انما يعمل جاداً ليرضى ضرورات يشعر انه أ كثر احتياجاً اليها من الغذاء والكساء . انه يعمل ليجد نفسه ويعثر بها . ان تاريخ الانسان هو بذاته تاريخ سفره الطويل الذى قضاه نحو العالم المجهول سعياً وراء تحقيق نفسه الخالدة ، أى روحه . ففى قيام الامبراطوريات وسقوطها ، وفى استجماع الثروات الضخمة ثم انفاقها وتبديدها مع الرياح الاربعة ، وفى خلق تلك المجموعات الكبيرة من الرموز التى تشكل أحلامه وآماله ثم نبذها وتحطيمها الى الى الحضيض كما تحطم الرجولة ألاعيب الطفولة ، وفى اختراعه لمختلف تلك المفاتيح السحرية التى حاول بها أن يفتح الباب ليلج منه الى أسرار المخلوقات، ثم فى تركه نتائج كل هذه الجهود العظيمة ليعود ثانية الى العمل منتحياً منحى جديداً سالكا طريقاً بكراً : فى جميع هذه الظواهر، تجد ان الانسان قد مضى متنقلا من عصر الى عصر، ومن جيل الى جيل ، ونصب عينيه غرض واحد هو تحقيق روحه . ذلك الروح الذى هو اعظم من كل ما فى مستطاع الانسان ان يستجمع ويكسب، وأضخم من كل ما فى قدرته أن يتم من أعمال أو يكون من نظريات . ذلك الروح لذى لا يصده عن سبيله الارتقائى موت ولا انحلال بدن

إن الاخطاء التى وقع فيها الانسان لم تكن في حالة من الحالات ضئيلة تافهة . ولهذا تجد أنها سدت سبيله بخرائب يصعب اجتيازها . أما آلامه فكانت طويلة ممضة . وما هى الا متقدمة لنتيجة ترمى الى غرض ذاهب في أعماق اللانهاية . ولقد مضى الانسان مقتحما هذه السبيل مستقلا فيها بطرق مختلفة وما كانت معاهده ونظاماتها الا مذابحه التي أقامها ليأتى اليها في كل يوم بقرباناته

وضحاياه . وانها لجليلة القدر ، فائقة العدد . ولا ريبة في أن كل هذا يصبح لا معنى له ، بل يكون عبثاً غير محمول ، اذا كان الانسان قد مشى في درج كل هذه الحالات غير شاعر بما يستبطن من الجذل والافتتان المنبعث من روحه الكائن بين جوانحه ؛ والذى يبلو قوته القدسية بما يحمل من آلام ، ويبرهن على أن معينه فائض غير ناضب ؛ بما فيه من قدرة على نكرات الذات .

نعم . ان المهاجرين لقادمون زرافات ووحداناً . قادمون الى حيث يجدون الوراثة الحقة التى يرثون بها الدنيا . إنهم يجدون عاملين على أن يوسعوا ادراكهم وان يرتقوا شيئاً فشيئاً الى الوحدة العليا ، مقتربين وهناً على وهن من تلك الحقيقة الكبرى · الحقيقة الكاملة الادراك

إن فقر الانسان لمدقع ، بالغ أقصى حد من التنزل والاسفاف . أما مطاليبه فبلا نهاية، وانها تظل كذلك الى أن يدرك حقيقة روحه ادراكا كاملا . ومنذ أن يبدأ جهاده العظيم ، حتى يبلغ هذه الدرجة تظل الدنيا فى نظره فى حالة انحلال مستمر ، أو تلوح له كخيال كائن ولا كائن . أما الرجل الذى حقق وجود روحه فقد عثر على مركز محدود للكون ومن حوله يجد كل شيء آخر موضعه الحقيق . وبهذا يستطيع أن ينعم بحياة الألفة التامة .

لقد مر على الكون عهد كانت فيه كرة الارض كتلة سديمية متباعدة الدقائق بفعل الحرارة التى تمدد الاجسام ، حيث كانت لا تزال في حالة العرارة الأولى . ولم تكن قد استكملت شكلها وصورتها ؟ ولم يكن فيها جمال ؛ ولم يختف وراء وجودها قصد . بل كان كل مافيها حرارة وحركة . فلما أن مضت متدرجة في التشكل وتكاثفت أبخرتها فكانت كل مستدير الشكل متحد الاجزاء بفضل تلك القوة التى رمت استجماع كل المواد المتنابذة تحت حكم مركز ما ؛ هنالك شغلت مكانها الحقيق بين سيارات النظام الشمسى ، كزمردة جميلة بين حبات عقد من الماس . كذلك تجد الحال فى الروح الانسانى . فان حرارة القواسر العمياء وحركتها ، والشهوات وقوتها ، اذا أحاطت بنا من كل الجوانب ، فهنالك نعجز عن أن نعطى أو نربح شيئا في الحقيقة . أما اذا عثرنا على المركز الذى ندور من

حوله ممثلا فى الروح ، واستطعنا أن نحقق ذلك بضبط النفس ، و بتلك القوة التى تؤلف بين كل العناصر المتنافرة المتنائية « حكمة » واذ ذاك تستكمل كل القواسر القلبية الموقوتة مثلها العليا ، فتكون « حباً » هنالك تكشف لنا صغائر الحياة ودقائقها عن قصد غير متناهى الصور ، وتتحد أفكارنا وآمالنا اتحاداً غير منفصوم الحلقات أذ تجمع بينها ألفة باطنية تامة التكوين .

يقول البوبانيشاد فى كثير من الثقة :

« أعرف الواحد . أعرف الروح . فان ذلك هو الجسر الذى تعبر من فوقه إلى حيث تجد الذات الباقية السرمدية »

هذه هى غاية الانسان ، غايته أن يعرف « الواحد » الذى هو كائن فيه . والذى هو حقيقته و روحه . أما هذه الغاية فهى المفتاح الذى يفتح به الباب الى حيث يلج الى عالم الحياة الروحانية . الى ملكوت السماوات .

ان رغبات الانسان كثيرة و إنها لتجنه سعياً وراء الصور المختلفة التى تتشكل فيها الدنيا . لانها هنالك تقع على عناصر حياتها ومبادىء بقائها . . أما ذلك الشيء الذى هو « واحد » كائن فيه ، فيبحث عن الوحدة والاتصال . وحدة الحب : ووحدة الغايات الارادية . أما غاية افتنان ذلك المبدأ الواحد الذى هو كائن فى الانسان ، فالوصول الى الواحد اللامتناهى فى وحدته السرمدية . ولهذا يقول اليوبانيشاد : —

« الذين استقرت عقولهم وهدأت ، لاسواهم ، يستطيعون أن ينعموا بالافتتان الكامل بأن يحققوا ذواتهم ويحققوا فى ذواتهم وجود « الذات » التى تعرض لا نظارنا ماهية واحدة فى أعراض مختلفة الصور كثير العدد »

يتخذ « الواحد » الكامن فينا من كل مايظهر في هذه الدنيا من مختلف الصور خيوطاً يحيك بها سلماً يتخذه سبيلا الى « الواحد » الحال فى كل الاشياء . هذه هى طبيعته . وهذه هى غاية افتتانه . غير أنه لامحالة يعجز عن أن يجتاز هذه المفازة الموحشة ليصل الى غرضه ، مالم يكن حائزاً على ضوء ذاتى يستطيع أن يرى من خلاله الشيء الذى هو ساع اليه . إن رؤية « الواحد الأعلى » من خلال

الروح ، لن تأتى الا من طريق البصيرة وحدها ، ليست من قوة الاستدلال ولا البرهان فى شيء . إن عيوننا بطبيعتها ترى الشيء فى مجموعه ، لا بتمزيقه قطعاً وأجزاء ، بل بجمع كل الاجزاء معاً فيصبح ذلك الشيء في وحدة مع أنفسنا . وكذلك هي الحال فى البصيرة التى هى من خصائص ادراكنا الروحى ، فانها إنما تحقق وحدتها الصحيحة الكاملة بالاندماج فى « الواحد الأعلى » .

إنه « فشفاكارما » أى انه بتنويع في الصور والقوى يلقى بمظاهره القوى الخارجيـة على الطبيعة ثوبا . أما مظاهره المستبطنة في روحنا ، فذلك الشيء الذى يوجد فى الوحدة لا في غيرها . ولهذا نجد أن بحثنا وراء الحقيقة في في عالم الطبيعة راجع الى طرق التحليل وغيرها من الطرق التدريجية التى يلجأ اليها العلم في حين أن فهمنا للحق الكامن فى روحنا فجائى مباشر من طريق البصيرة . اننا لانستطيع أن نصل الى الروح الاعلى بأن نزيد تدرجاً من معلوماتنا وأن نضيف اليها جزء بعد جزء وهنة بعد هنة ، ولو قدر لنا أن نعيش مكبين على هذا العمل طوال الآباد . لأنه واحد ، غير مكون من أجزاء . اننا لانستطيع أن نعرفه ونصل اليه الا اذا أيقنا بأنه في الواقع صميم الفؤاد وروح الارواح . اننا نقدر على أن نبلغ اليه بالحب والافتتان اللذين نشعر بهما ، اذا ما تمكنا من انكار أنفسنا و وقفنا أمامه وجهاً لوجه .

ان أشد الصلوات حرارة وأكثرها فى يقيني صدقا ، بل أخص صلاة خرجت من قلب بشرى ، هي تلك الصلاة التى نقع عليها في لساننا القديم حيث يقولون :

« أيها الواحد المتجلى بذاته تجل في روحى »

إننا فى تعاسة وشقاء لاننا مخلوقات تأسرنا النفس ووحياتها . تلك النفس الضيقة الثائرة التى لاتبعث من ضوء ولا تلج الى اللانهاية باباً . ان تتسفل لتظهر عالية الصوت ، ولكن بما تبعث بين جوانحنا من صخب وصياح . انها ليست ذلك التوقيع التى تهتز أوتاره فتبعث بموسيقى السرمد والأبد . واليك تنهدات الجرع ومتاعب السقطات والاخطاء . والاحزان الممضة على ما فات . والاشفاق مما هو

آت . فان كل هذه اشياء تلقى بأفئدتنا فى يم من الرعب والخوف . لا ننا لم نعثر بعد على أرواحنا ؛ ولأن ذلك الروح الذاتى لمتجلى ، لم يتجل بعد فى حياتنا الباطنة . ومن هنا اندمجت فى مراسمنا تلك الصيحة القلبية التى نقول فيها :

« أيها الواحد الجليل المهيب ، نجنى بابتسامة غفرانك وصفحك كل وقت وآن ».

ان اشباع اللذائذ النفسية والشره الذى لاتقنع نهمته ، وكبرياء الملك والاستجماع واسفاف القلب نفوراً ومجافاة ، كل هذه أشياء تخفى من ورائها أكفان الموت والفناء .

« رودرا » أيها الواحد ذو الجلال . مزق هذا الغطاء المظلم قطعاً .واضرب هذا الليل الحالك بشعاع منبجس من بسمات غفرانك وأيقظ روحى » .

« قد خطواتى من اللاحقيقة الى الحقيقة . ومن الظلام الى النور . ومن الموت الى الخلود » .

لكن كيف يؤمل انسان أن يحقق ما فى هذه الصلاة من دعوات ؟ فان المسافة التى تفصل بين الحق والباطل شاسعة بلا نهاية . وهي كالفراغ الواقع بين الموت والخلود . ولكن هذه الفجوة السحيقة لاريبة تعبر فى لحظة واحدة اذا شاء الواحد المتجلى بذاته أن يتجلى فى قرارة الروح .اذ ذاك تقع المعجزات حيث هنالك يلتقى المتناهي بغير المتناهى .

« يا أبت . أمح عنى كل معاصى واذهب بها ».

لاننا بالمعصية ننصر المتناهى على اللامتناهى الحال فينا . انها لهزيمة تنتصر فيها النفس على الروح . ان هذا لعب الخسران والهدم ، الذى يغامر الانسان فيه بالكل طمعاً فى الحصول على الجزء . ان المعصية ستار للحق ، يغشى على صفاء أدرا كنا كغمامة كثيفة .

فى غمر الخطيئة والمعصية تشتد شهواتنا سعياً وراء اللذائذ لا لأن اللذائذ ذاتها شيء مرغوب فيه ، ولكن لأن قواسر الشهوة هي التى تخيل الينا أنها كذلك ونتطلع الى حيازة الاشياء ، لا لأن الاشياء نفسها ذات قيمة حقيقية ، بل لأن

طمعنا يضخمها ، فتلوح لنا عظيمة قيمة . ولا ريبة فى أن هذه المبالغات ،وتلك النظرات الملتوية التى ننظر من ناحيتها الى مايحيط بنا من الموجودات ، تفك روابط ألفة الحياة ، وتفصم عراها فى كل خطوة تخطوها بذلك نفقد الدستور الأعلى لمعرفة قيمة الحقيقة . وتأسرنا حاجات الحياة ومطاليبها . وهى على تشابك حلقاتها تستعبدنا استعباداً فان عجز الانسان عن أن يستجمع كل عناصر طبيعته فى وحدة يحكمها « الواحد الأعلى » هو الذى يجعله يشعر بأن هنالك فجوة قائمة بينه و بين الله . ولا يعبر عن هذا الشعور شيء مثل هذه الصلاة .

« يا آلهى . ياأبت أمح كل معصياتنا ، وامنحنا كل ماهو خير بذاته » .

ذلك الخير الذى تغتذى به أرواحنا .

ان اكبابنا على حيازة اللذة يلزمنا أن نبقى عبيداً لنفوسنا الشهوية . أما طالب الخير فيحررنا حتى نصبح فى تبعية ثابتة للكل اللامتناهى . وكما يستمد الطفل من رحم أمه مقومات حياته من طريق اتحاده بحياة الام التى هى أكثر من حياته سعة وأضخم مجالا ، كذلك الحال فى روحنا ، فانه انما يغتذى من طريق الخير المحض . وهذا الطريق هو عبارة عن تحقيق الآصرة الكائنة بين الروح و بين الخير . بل هو المفازة التى يسلكها الروح للاتصال بعالم اللانهاية التى تحيطه وتغذيه بلبان الخلود . ومن هنا قيل .

« طوبى للذين يجوعون ويظمؤون سعياً في سبيل الاستقامة ، لانهم سوف يمتلئون » .

لأن الاستقامة هى غذاء الروح القدسى . وما من شيء غير هذا يمكن أن يسد جوع الانسان ونهمه، أو يجعله يعيش عيش الخلود واللانهاية ،أو يأخذ بيده في سرى تدرجاته النشوئية نحو السرمد والابد .

« اننا نسجد لك يامن يزودنا بمفاتن حياتنا ومسراتنا . ونسجد لك يامن يزود أرواحنا بما فيها من خير . إنا نسجد لك يامن هو الخير كل الخير » .

بل نقول : « يامن من طريقه نتحد بكل شيء ونندمج فى كل شيء ، في السلام والالفة ، فى الخير والحب .

ان صراخ الانسانية انما يتعالى ليصل الى أرقى تعبيراتها . أما الرغبة فى سبيل التعبير عن النفس ، فهى التى تقود الانسان الى السعى وراء الثروة والقوة . ولكن الواجب عليه أن يعرف ويستكشف أن « الاستجماع » ليس هو « التحقيق » وأن الضوء الباطن هو الذى يكشف له عن حقيقته ، وليست الاشياء الخارجية . فان ذلك الضوء الباطن اذا أضاءت أشعته ، عرف الانسان فى لحظة واحدة أن أخص ما يوحى به اليه ، هو وحى الله فيه . ومن ثم تعالت الصيحة فى سبيل تجلى الروح وتحقيقها ، الذى هو ليس بشىء سوى تجلى الله فى الروح . وان الانسان ليصبح انساناً كاملا ويحصل على أرقى حالة يستطيع فيها أن يعبر عن حقيقته ، اذا حققت روحه وجودها فى الذات اللامتناهية ، والتى هى (آفية) والتى تنحصر كل ماهيتها فى « التعبير » لافى شىء غيره .

أن تعاسة الانسان الحقيقية ترجع فى الواقع الى أنه لم يتخلص من أسره ، وأنه مظلم بنفسه ، مفقود فى مهامة شهواته ورغباته . انه لا يستطيع أن يشعر بنفسه وقد خرج الى أبعد مما يحيط من الاشياء المادية : ان نفسه الكبرى تكون قد غمى عليها ، والحق الكامن فيه قد غشى عليه . لهذا يجب أن لا يكون له صلاة تخرج من أعماقه سوى القول .

« أنت يامن هو روح الظواهر ، اظهر بنفسك متجلياً فى روحى »

أن هذا التطلع الى التعبير الحقيقى عن نفسه لأعمق غوراً فى وجدان الانسان من ظواهر نهمه وظمئه وراء الجسمانيات ، ومتعطشة الى الثروة والجاه الدنيوى . ان هذه الصلاة ليست بشىء يعبر عن عنصر خفى نشأ فى تضاعيف الانسان وحده . انها فى صميم كل الاشياء . انما عبارة عن الاجبار المتواصل الذى يخضعه له (الآفية) أى الروح السرمدى المتجلى والظهور . وان تجلى اللامتناهى فى المتناهى ، الذى هو المحرك الاول فى الخلق والوجود ، لا يمكن أن يرى فى السماوات المنمقة بالنجوم وكمال وضعها ، ولا فى الازهار وجمال أشكالها وصورها . انه لا يرى الا فى روح الانسان لانه هنالك تتجلى الارادة فى الارادة ، وتمد الحرية يدها لتتلقى آخر ما تنتظر من هبة وعطاء : حيث تتحقق الحرية بالتسليم والقاء السلاح

اذن فالنفس الانسانية هي الشيء الوحيد الذي لم يشأ بارىء الاكوان أن يتقيد بالارادة، فتركها حرة مختارة . لذلك نجد أن الانسان في تكوينه الجسماني والعقلي ، حيث يكون ذا صلة عظمى بالطبيعة الحافة به ، يمضي معترفاً بجلال الله وقدرته الشاملة . غير أنه اذا رجع إلى نفسه وجد لديه من حرية الاختيار ما يمكنه من انكار كل هذا . وفي هذا الحيز، حيز النفس النفس: الحرة الاختيار ، يجب أن يلج الله ليملأ ذلك الفراغ . هنالك يستوي كضيف ، لا كملك ولا كسلطان ويظل منتظراً حتى يدعى . ان نفس الانسان وحدها هي التي شاء الله القادر على كل شي أن لا تضطر الى الخضوع لاوامره ونواهيه اضطراراً بل اختياراً . تركها حرة ليغرس فيها بذور الحب الانساني . ان قواته المسلحة ونواميسه الطبيعية ، انما تقف خارج أبوابها التي لا يلج منها سوى الجمال ، رسول حبه ورحمته ليستوي في أعماقها القصية .

انك لا تجد من أثر للفوضى الا في هذا العالم : عالم الاختيار والارادة . في النفس الانسانية وحدها تقع على متناقضات البهتان والاسعاف مسيطرة حاكمة بأمرها هنالك قد تتكاثف الاشياء تكاثفاً يجعلنا نصيح من أعماق نفوسنا في فزع وحرقة :

« ان مثل هذه الفوضى السائدة لا يمكن أن تبسط سلطانها ، لو أن الله موجود حقاً » .

والحقيقة أن الله قد ظل بعيداً عن نفوسنا، وفي صبر لا يبلغ الى حدولا يخلص الى نهاية ، يمضي غير محاول أن يفتح بالقوة أبواباً غلقت دونه . ذلك لان النفس الانسانية يجب ان تحصل على وجودها المعنوي الحقيقي الذي هو الروح ، لا من طريق الاضطرار والقهر الآلهي : بل من طريق الحب وبذلك تندمج في الله من طريق الحرية والاختيار .

إن الذي اندمجت روحه في الله ، هو الذي يقف أمام الناس كزهرة الانسانية اليانعة . هنالك يعثر الانسان في الحق على حقيقة ذاته . لان هنالك يتجلى له (الآفية) حالا في روح البشر كأكمل صورة من صور الوحي الحقيقي عن وجود

الله في الانسان . لاننا نرى كيف تندمج الارادة العلوية في ارادتنا ، وحبنا المحدود في الحب الباقي الدائم .

لهذا نجد أن الذين يحبون الله حباً حقاً في بلادنا يكافئون من الناس باحترام وتقديس ، قد يمكن أن يعد في الغرب انها كا لحرمة الدين . فاننا نرى فيهم أن رادة الله قد نفذت وأصبحت حقيقة واقعة ، وان أكبر العقبات التى كانت تحول دون تجليه وظهوره قد ذللت ، وان الجذل الآلهى قد أزهر وآتى أكله فى قلب الانسان . اننا نرى من طريق هؤلاء — المحبين لله — ان ملكوت البشر قد أظله العطف القدسي وأحاط به . وان حياتهم اذ تتقد بحب الله وتضطرم ، انما تبعث فى حياة الناس الحب متجلياً فى أجمل صوره وأبهى ألوانه . هنالك تتجمع كل حاجيات حياتنا ومرافقها القريبة ، وكل تجاريبها ومسراتها وآلامها ، حول مظاهر ذلك الحب القدسى ، وتكون تلك القصة التمثيلية التى نشاهدها فى الانسان . هنا يمس السر الأبدى تلك التوافه والنرهات فيذيبها ، لا ليفنيها ، ولكن لا يحولها الى توقيع موسيقى خالد . وهنالك تلوح لنا الاشجار والنجوم والتلال الخضراء كرموز تناجينا بمعان تعجز الكلمات عن إن تعبرعنها . ويلوح لنا كأننا نرقب « الواحد الفرد » وهو يخلق أمام أعيننا عالماً جديداً عند ما يزيح الروح الانسانى حجب النفس واستارها عن وجهه ، ويسفر بارزاً ليقف وجهاً لوجه أمام محبة الخالد الباقى .

ولكن ماهي هذه الحالة ؟ انها كصبح الربيع ، اذ تتنوع فيه أوجه الحياة والجمال ، فى حين أنه واحد كل ، غيرذى أجزاء

ان حياة الانسان عند ماتنفذ من المهاوى المسفه والشقاء ، و يحقق وحدتها من الروح ، فهنالك يصبح وجدان اللامتناهي شيئا طبيعياً ثابتاً فيها . كالضوء إذ ينبعث عن اللهيب : واذ ذاك تهدأ عاصفة الجلاد والصراع وتمحى متناقضات الحياة . وتأتلف عناصر المعرفة والحب والعمل : واللذة والألم يندمجان في الجمال، والتشهى والجمود يتساويان مع الخير : ويمتلىء الفراغ الواقع بين المتناهي وغير المتناهي بالحب وفيوضه الجميلة ، و يحمل كل برهة من برهات الزمان رسائلها

لمعنوية إلى عالم السرمد والأبد، وتظهر لنا الاشياء الشوهاء التي لا صورة لها في صورة زهرة يانعة ناضرة أو ثمرة شهية ، ويضمنا العالم غير المحدود بين ذراعيه كأب رحيم، ويماشينا كصديق خالص الود شفيق القلب

إن الروح وحده ، ذلك الكل الكائن فى الانسان ، هو الذى يستطيع أن يتخطى كل الحدود ويجتاز كل الحوائل ليحقق ألفته الصحيحة مع « الواحد الأعلى »

إن حياتنا ، قبل أن نحقق الألفة مع الأبدى القيوم ونعثر على وجودنا الكلى تظل عبارة عن مجموعة عادات نسميها الحياة . واذ ذاك تلوح لنا الدنيا كآلة ميكانيكية ، تستخدم حيث تكون مفيدة وتتقى حيث تكون مضرة مخيفة ، ولن يمكن أن نعرف حقيقتها كشيء هو لنا رفيق وصاحب لا من ناحيتها الطبيعية ، ولا من ناحيتها الروحية ، ولا من ناحية الجمال

مالينى

الاهداء
الى
ابنة أخى - انديرا ديفى

***

الفصل الاول

فى شرفة القصر المواجه للطريق

***

مالينى — لقد حانت ساعتى وأصبحت حياتى كقطرة النـدى المترقرقة على زهرة اللوتس ، تهتز خافقة فى طيات الزمان . انى أغمض عينى ، فيخيل الى أنى أسمع عجيج السماء ، وفي قلبى حرقة لاأعرف سببها .

تدخل الملكة

الملكة — ماهذا ياابنتى ؟ لماذا أغفلت أن ترتدى ثياباً تلائم ماأنت فيـه من شباب وجمال ؟ وأين حليك ؟ يالحرى الجميل . كيف تغفلين أطرافك من مس الذهب والجوهر .

مالينى — ياأماه . هنالك من يولدون فقراء بؤساء . ولو في قصر الملك . أما الثروة فلا تعلق باؤلئك الذين قدر لهم أن يجدوا الفقر في الغنى .

الملكة — أأنت هي تلك الطفلة التى لم تـكن تستطيع أن تنطق بشىء الا صياح الاطفال . أأنت هى التى تكلمنى بمثل هذه الاسرار ؟ ان قلبى ليتصدع خوفاً كلما أصغيت اليك . من أين التقطت معتقدك الجـديد الذى يناقض كل ماجاءت به كتبنا المقدسة ؟ ياابنتى . انهم يقولون بأن الراهب البوذى الذى تلقيت عنه هذه الدروس ، يكب على مزاولة السحر والاتصـال بالارواح . انها تغشى على عقول النـاس ، وتطوح بهم فى جو الاكاذيب والاوهام . ولـكنى أسألك . هل الدين شىء يستطيع أن يعثر الانسان عليـه بالبحث والتنقيب ؟ أليس هو كاشعة الشمس التى تغشـانا طول الايام ؟ انى امرأة ساذجة ، لاأفهم مذاهب

الرجال ولا معتقداتهم . وأعرف فوق هذا أن الاشياء التي يعبدها النساء يجب أن تلقى اليهن من غير أن يتلمسوها ، مصورة في هيا كل هي أزواجهن وأولادهن .

يدخل الملك

الملك — ان سحائب مملوءة بالعواصف العاتية تجتمع فوق قصر الملك يا بنيتى فلا تتقدمى خطوة أخرى في طريقك المهلك . تأملى ، ولو برهة وجيزة .

الملكه — ماهذه الكلمات السوداء ؟

الملك — ابنتى الخرقاء . اذا كان مما لا بد منه أن تحملى ثمار معتقدك الجديد الى هذه البلاد القديمة فلا تجعليها تكتسحها مرة واحدة كفيضان يهدد بالموت كل من يعيشون على الشاطىء . احتفظى بعقيدتك لنفسك وحدك . ولا تحركي كراهية الجماهير وسخطهم علينا وسخريتهم منا .

الملكة — لا توبخ ابنتى هذا التوبيخ المؤلم ، وتعلمها أصول سياستك العوجاء. أما اذا اختارت ابنتى معلميها الذين يهذبونها ، واتبعت في الحياة طريقاً خاصاً بها ، فلست أعلم من يكون من حقه أن يلومها على هذا ؟

الملك — أيتها الملكة . ان الناس فى هياج و يطلبون نفى ابنتى .

الملكة — نفى ؟ نفى ابنتك ؟

الملك — ان البراهمة لما أزعجتهم هرطقتها ، عقدوا جمهرة و .....

الملكة — هرطقة بالتأكيد اهل كل الحقائق مقصورة على كتبهم القديمة التى أكلها الصدأ . ليلقوا بعقائدهم القديمة التى أكلتها الديدان على قارعة الطريق ، وليأتوا الى هنا ليتلقوا دروسهم عن ابنتى . انى أخبرك ، أيها الملك ، أنها ليست بفتاة عادية . انها شعلة من النار الصافية. فان روحا من الارواح القدسية قد تقمصها . فلا تلمها ، لئلا يأتى يوم تضرب فيه على جبهتك باكيا ، وتبحث عنها فلا تجدها .

مالينى — يا أبى . نفذ ارادة شعبك . لقد أتت الساعة المنتظرة . انفنى . أبعدنى .

الملك — يا ابنتى . لماذا ؟ أى شىء تشعرين بأنك فى احتياج اليه بين جدران قصر أبيك ؟

مالينى — اصغ الى يا أبتاه . ان هؤلاء الذين يصيحون طالبين نفيي ، انما يصيحون من أجلى . أما أنت يا أماه فليس لدى من كلمات أستطيع بها أن أعبر لك عما في ذهنى . اتركينى بلا حزن أو بكاء . كالشجرة التى تنبذ أزهارها من غير اهتمام . دعينى أخرج سافرة الى كل الناس . لأن الدنيا قد اختصت بى وأخذتنى عنوة من بين يدى الملك .

الملك — ابنتى . لست أفهم ماتقولين .

مالينى — يا أبتاه . انك ملك . كن قويا . وقم بواجباتك .

الملك — يا ابنتى . أليس لك من مكان يسعك هنا ، حيث ولدت ؟ هل أثقال هذه الدنيا تنتظر كتفيك الصغيرتين لتستوى عليهما ؟

مالينى — إنى أحلم ، بينما أنا مستيقظة ، بأن الرياح كواسر ، وأن المياه مضطربة دوافق . الليل مشتد الحلك . والسفين قد أوثقت فى جدران المرفأ . أين الربان الذى سوف يهدى الضالين التائهين الى مآويهم ؟ انى أشعر بأنى أعرف الطريق ، وأن السفين سوف يهتز بالحياة عند ما ألمسه ، ويسرع الخطو الى الامام

الملكة — هل سمعت أيها الملك ؟ كلمات من هذه ؟ هل هذه الفتاة الصغيرة هى التى تبعث بها ؟ هل هى ابنتك ؟ وهل أنا حملتها بين ضلوعى ؟

الملك — نعم . كما يحمل الليل شفق النهار . الشفق الذى ليس هو لليل وحده ، بل للدنيا كلها .

الملكة — أيها الملك . أليس لديك من وسيلة تحفظ بها هذه الابنة بين جدران قصرك ؟ هذه الصورة المكبرة من الضياء ! يا عزيزتى اقدمى حل شعرك على أكتافك . دعينى أعقصه . هل هم لايزالون يتكلمون عن النفى أيها الملك ؟ اذا كان هذا العمل جزءاً من عقيدتهم ، اذن فلينتشر الدين الحديث ، واترك البراهمة يتلقون من جديد ماهى الحقيقة ؟

الملك — أيتها الملكة . لنذهب بابنتنا من هذه الشرفة . الا ترين الجماهير وقد أخذت تتجمع في الطرقات ؟

يذهبون جميعا

***

ـ جملة من البراهمة أمام شرفة القصر يصيحون ـ

البراهمة — فلتنف ابنة الملك !

كيمنكر — أيها الاصدقاء . كونوا صادقى العهد على تنفيذ رغبتكم . ان المرأة اذا انقلبت عدواً كانت أشد لدادة من كل الاعداء . لأن البرهان عاجز أمامها، والقوة مدعاة الخجل . ان قوة الانسان لتتلاشى بجذل أمام ضعفها . وهى تحتمى دائماً بحنايا القلوب .

البرهمى الاول — يجب أن نناقش ملكنا لنخبره بأن ثعباناً خبيثاً نشأ في عشة ونفث بين الناس سمومه ، وأنه يسدد أشد السهام نكاية الى قلب ديننا المقدس .

سوبريا — الدين ؟ انى لبليد . انى لا أفهمكم . خبرونى أيها الاسياد ، هل دينكم يأمركم بأن تنفوا فتاة بريئة .

البرهمى الاول — انك لمتطفل ياسوبريا . انك تصدنا دائماً عن كل مانريد وتقف عثرة في سبيل ما نعمل .

البرهمى الثانى — لقد اتحدنا لندافع عن معتقدنا المقدس . وها أنت تأتى الينا وتندس بيننا فتكون كصدع فى جدار ، أو كابتسامة جافة ، تبعث بها شفة تنم عن الاحتقار !

سوبريا — هل تظنون أنكم بحكم الكثرة وقوتها الغاشمة تحتكون في الحقيقة وأنكم سوف تغرقون العقل وقوة البرهان في جوف تلك الهزات الاثيرية التي تنبعث مع صياحكم المتعالى ؟

البرهمي الاول — إن هذا لافراط في الوقاحة ياسوبريا .

سوبريا — ليست الوقاحة فيمن يقول قولى • بل فيمن يؤولون حقائق أسفارهم المقدسة لتلائم عقولهم الضيقة ، وقلوبهم المريضة •

البرهمى الثانى — اطردوه بعيداً • انه ليس منا •

البرهمى الاول — لقد اتفقنا جميعاً على نفى الاميرة • فكل من لايوافق على هذا ويعارضه فليخرج عن جماعتنا • .

سوبريا — ايها البراهمة • لقد اخطأتم إذ انتخبتمونى عضوا في جمهرتكم انى لست ظلا من ظلالكم ، وما انا بصدى يردد ماتوحى به اسفاركم • انى لااسلم مطلقا بأن الحق يكون دائما فى جانب اشد الاصوات خشونة • وانى لاخجل ان اعتنق معتقداً لايقوم على غير القوة ، ولا بقاء له بغيرها •

(ثم يقول لكيمنكر)

أيها الصديق العزيز . دعنى أذهب من هنا

كيمنكر — لا . فلست بتاركك . انى أعرف أنك ثابت اليقين فى أعمالك وانك لا تشك الا حين المناقشة . فلتبق صامتاً أيها الصديق . لأن هذا زمان مشحون بالسيئات

سوبريا — ان أشد الاشياء وقعاً فى نفسى لهو عماية اليقين ، وعمى الجهل . ومن هذا ظننتم أنكم إنما تستطيعون أن تحموا دينكم بنفى فتاة من سكنها ! ولكن خبرونى ، ماهى جريمتها ؟ أليست تعترف بأن الحقيقة والحب هما روح الدين وجثمانه ؟ أليس على هذا تنطوى كل المعتقدات وفيه تنحصر ماهيتها.

كيمنكر — الدين واحد في جوهره . ولكنه يختلف في كثرة صوره . فالماء واحد ؟ ولكن باختلاف الشواطىء التى يغشاها ، يكون الحق فيه لأمم مختلفة . أما اذ كان لك فى صميم قلبك نبع يروى ظمأك ، ويطفىء عطشك ، فلا تلومن جيرانك الذين هم مقسورون على أن يستسقوا بجرعات من الماء يأخذونها من بركهم القديمة التى غشاها من قبل اسلافهم ، مع ما يحيط بها من المروج المخضوضرة الخصيبة التى غذاها الزمان ، وأشجارها النضرة التى تحمل أثمارها الابدية ؟

سوبريا — سأتبعك يا صديقي كما كان شأني معك في كل أدوار حياتي ، ولا أناقش .

(يدخل برهمي ثالث)

البرهمي الثالث — عندي أخبار سارة . قد انتشرت كلماتنا انتشار البرق فكاد جيش الملك أن يتحرك لينصر قضيتنا

البرهمي الثاني — الجيش ؟ انى لا أحب ذلك .

البرهمي الأول — وكذلك أنا . ان فى هذا لريح الثورة .

البرهمي الثاني — إنى لا أؤيد مثل هذه الوسائل المتطرفة يا كيمنكر

البرهمي الاول — ان معتقدنا هو الذى سوف ينصرنا ، لا أسلحتنا . اذن فلنفكر ولنتل شيئاً من متوننا المقدسة ، ولنذكر أسماء آلهتنا التى تحفظنا وترشدنا .

البرهمي الثاني — الينا ، أيتها الآلهة ، التى تزود عبادها بما ترسل من سخط سلاحاً لهم . تنزلى متقمصة وحطى الى الحضيض كبرياء الفاسقين . برهنى لنا عن قوة معتقدنا ، وقودى خطواتنا الى النصر والفخار .

الجميع — نفزع اليك ، أيها الأم ، اهبطى الينا من سماوانك العليا ، و اعلى عملك فى أبناء الفناء

***

(تدخل مالينى)

لقد أتيت

(يتنحى لها الجميع ماعدا كيمنكر وسوبريا فيظلان رافعين رأسيهما منتظرين)

البرهمي الثاني — أيتها الآلهة . لقد اتيت الينا ثانية فى صورة ابنة انسان ، حاصرة كل قوتك المهيبة فى جمال قتاة فتانة . فمن أين أتيت أيتها الأم ، وما هو غرضك ؟

مالينى — لقد تدليت هنا الى منفاى اجابة الى تضرعكم

البرهمي الثاني — الى المنفى متدلية من السماء لأن ابناء الارض دعوك ؟

البرهمى الاول — اغفرى لنا أيتها الأم . أن الشتاء والفناء يهددان هذه الارض ففزعت صارخة تتطلب العون

مالينى — انى لن أتركـكم . لقد علمت أن ابوابكم قد ظلت مفتوحة لى . ان صرختكم قد وصلت الى منفاى فاستيقظت ، وأنا في لجة من الثروة واللذة بين جدران قصر الملك

كيمنكر — الاميرة !

الجميع — ابنة الملك

مالينى — لقد نفيت من سكنى ، لأتخذ من بيوتكم سكناً لى . ولـكن خبرونى بحق أنتم في حاجة إلى ؟ لما عشت فى عزلتى ، فتاة منفردة ، هل دعوتمونى اليكم من العالم الخارجى ؟ ألم تـكن أضغاث أحلام .

البرهمى الاول — أيتها الأم . لقد أتيت واستويت في حبات قلوبنا ، وعلى هامات أفئدتنا .

مالينى — ولدت فى قصر ملك ، ولم أطل مرة واحدة من نافذة حجرتى . وسمعت أن وراء النافذة عالم منكوس . ذلك العالم الذى هو بعيد عن أن تصل اليه يدى . ولـكن لم أكن أعرف أين موضع ألمه . خبرونى لـكى أجده

البرهمى الاول — ان صوتك الحنون يرسل بالدمع الى مآقينا

مالينى — لقد أسفر القمر هذه الآونة من بين السحب وروح السلام يرف على صفحة السماء ، وكأنه يحتضن الدنيا برمتها بين ذراعيه ، تحت ضوء قمر العظيم . من هنا تذهب الطريق وتمتد الى حيث تفقد آثارها بين الاشجار الشيقة بظلالها الصامتة . وهنا تقوم البيوت ، وهنالك يقوم المعبد . وشاطىء النهر يلوح عن بعد صامت موحش . فالظاهر انى هبطت ، كباطل ينقض فجأة من سحب كلها أحلام ، الى عالم الانسانية ، فـكنت على جانب الطريق

البرهمى الأول — أنت لهذا العالم روحه القدسى

البرهمى الثانى — لماذا لم تنفجر ألسنتنا ألماً عند ما كانت تصيح طالبة نفيك .

البرهمى الاول — تعالوا أيها البراهمة . لنرجع الأم الى مقرسكنها .

(يصيحون)

النصر لأم الدنيا .

النصر للأم التى تجلت فى صورة ابنة انسان .

(وتمشى ماليني يحوطها الجميع)

***

كيمنكر — فلتذهب الاوهام والخيالات ! الى أين أنت ذاهب ياسوبريا كمن يمشى مأخوذاً فى سنة عميقة من النوم

سوبريا — اتركنى ! دعنى أذهب !

كيمنكر — اضبط نفسك . هل ستطير أنت أيضاً الى النار مع بقية هذه الهوام العمياء

سوبريا — أكان هذا حلماً يا كيمنكر

كيمنكر — لم يكن شيئاً سوى حلم . افتح عينيك . واستيقظ

سوبريا — ان املك فى السماء لخائب يا كيمنكر . لقد تهت كثيراً فى فلوات المذاهب ، فضاعت متاعبى سدى . وعبثا فتشت عن السلام فلم أجده . ان آله هذه الجماهير ، وكذلك آله تلك الكتب ؛ ليس هو آلهى . إنهم لم يجيبوا على مسائلى ؛ ولم يمحضونى السلوى . ولكن فزت أخيراً على الالهام القدسى ؛ وها أنذا أعيش فى الدنيا مع بقية الناس

كيمنكر — وأسفاً ياصديقى . إنها لأسوأ اللحظات تلك التى يخدع الانسان فيها قلبه . فان الشهوة العمياء تصبح كتاب صلواته ؛ وتتربع الأوهام على عرش آلهته . أمن وراء هذا القمر ، الذى يستلقى نائماً بين السحب السارية انسياباً ، يكون عالم الحقيقة الخالدة ؟ الصبح السافر سوف يغشانا فى الغداة ؛ وستبدأ الجماهير الجائعة تجوب أنحاء بحر الوجود بآلاف من الشباك . وقلما يتذكرون هذا الليل

الهادىء بأضوائه القمرية ، الا كما يتذكرون غشاء رقيقا من الباطل تنسجه سنات النوم ، أو الاشباح ، أو الاوهام . ان تلك الشبكة السحرية التى تنسج عادة من مفاتن خادعة تختص بها امرأة ، لهذا مثلها . وهل يمكن أن تشغل محل الحقيقة العظمى ؟ هل لعقيدة يخلقها وهمك أن تطفىء عطش الهاجرة ، إذ تتلظى نيرانها ، وتشتد حرارتها ؟

سوبريا — وآسفا ! لست أعرف

كيمنكر — إذن يجب عليك ن تنتشل نفسك من أحلامها،وانظر أمامك. فان البيت القديم الذى أربته العصور ، تلتهمه النيران . وأرواح أسلافنا تطير متناوحة فوق الخرائب ، كطيور تصرخ باكيه على عشوشها المحطمة . أهذا وقت التردد ؟ حيث الليل مشتد الحلك ،والاعداء يطرقون على الباب ، والرعايا نائمون، والناس سكارى باوهامهم ، وكل منهم يضع يده على حنجرة أخيه ؟

سوبريا — سأكون معك .

كيمنكر — يجب على أن أذهب بعيدا عن هنا

سوبريا — والى أين ؟ ولأى شىء ؟

كيمنكر — الى بلاد بعيدة . سأجهز جيشاً أجنبياً . لان هذه الحريقة الممتدة اللهب تتطلب دماء تطفئها

سوبريا — ولكن عسكرنا على استعداد !

كيمنكر — عبثاً تنتظر المساعدة منهم . أنهم كالهوام ، تنزلق الى حيث تكون نار . الا تسمع كيف يصيحون كالمجانين ؟ لقد جنت المدينة ، وعمدت الى مصابيح الزينة تشعلها فى حفلة الجناز التى تودع بها معتقدها المقدس

سوبريا — اذا كان من الواجب أن تذهب فخذنى معك .

كيمنكر — لا . يجب أن تبقى لتلحظ الاحوال وتمدنى بالاخبار ولكن ! أتعاهدنى أيها الصديق بان لا يؤخذ قلبك ببهرة الجديد الباطل ، فتخذلنى ؟

سوبريا — الباطل جديد ، وصداقتنا قديمة . لقد نشأنا معاً منذ حداثتنا. وهذا اول فراق نعانيه

كيمنكر — عسى أن يكون الأخير ؟ في ايام المحن تنحل اقدس الروابط . فالأخ يحطم أخاه ، والصديق يخون الصديق . سأخرج في الظلام ، وفي ظلام الليل سوف اعود ، لأقرع الباب . فهل سأجد صديقي واقفا يلحظني ، و بيده مصباح مضيء ؟ سأحمل هذا الأمل بين جوانحي

(يخرجان)

***

الملك مع الامير فى الشرفة

أخشى أن أصمم أخيراً على نفى ابنتى

الامير — نعم يامولاى ! فان التوانى قد يكون خطيراً

الملك — ترفق ، يابنى ، ترفق . لاشك فى انى سوف سأقوم بواجبى . تيقن من أنى سأنفيها

يذهب الامير

تدخل الملكة

خبرنى أيها الملك ، أين هى ؟ هل خبأتها ، حتى منى أنا ؟

الملك — من هى ؟

الملكة — أين مالينى

الملك — ماذا ؟ أليست فى حجرتها ؟

الملكة — كلا . فانى لم أجدها . اذهب بجنودك وفتش عنها فى أنحاء المدينة كلها بيتاً بيتاً . لقد سرقها الرعية . أنفهم جميعا . خرب المدينة كلها أو يعودوا بها .

الملك — سأحضرها ثانية ولو تحطمت مملكتى

البراهمة والجنود يأتون بمالينى وبيدهم المشاعل موقدة

***

الملكة — ياحبة قلبى ! يا ابنتى القاسية ! سوف لا أجعلك تبتعدين عن عن ناظرى . كيف تستطيعين أن تتركيني ، وتذهبين بعيداً ؟

البرهمي الثانى — لا تغضبي عليها أيتها الملكة ! لقد ذهبت الى بيتنا لتباركه .

البرهمى الاول — وهل لك وحدك ؟ وهل هي ليست لنا جميعاً

البرهمى الثانى — ياأمنا الصغيرة ، لاتغفلى عنا .. انت كوكبنا المفرد الذى تقودنا انواره عبر البحر . بحر الحياة الخضم المتلاطم الامواج

مانينى — ان بابى فتح امامكم ، وهذه الجدران لن تقوى من بعد على الفصل بيننا .

البراهمة — بورك فينا وفى الارض التى حملتنا

(يذهبون)

مالينى — أماه! لقد جذبت العالم الخارجى الى بيتكم . يلوح لى أنى تحررت من قيود جسمى فاصبحت وحياة العالم شيئاً واحداً

الملكة — نم يا ابنتى الآن لاتلح عليك الضرورة فى أن تخرجى من هنا. احضرى الدنيا اليك والى أمك . لقد قارب الليل أن يستدير ثلثه الثانى . أجاسى هنا . هدئى نفسك . ان هذه الحياة المتأججه المضيئة بين جوانحك تخطف النوم من عينيك

(تضم ابنها)

مالينى — اماه! انى متعبة وجسمي يضطرب . كم هى فسيحة هذه الدنيا ؟ ياأمى العزيزة غنى لأنام . ان الدموع لتأتى متكاثرة في عينى ، واحزان ملحة تهبط على قلبي

الفصل الثانى

في حديقة القصر

* * *

مالينى وسوبريا

مالينى — ماذا أستطيع ان اقول لك ؟ لست ادرى كيف ابحث واناقش ؟ فانى لم اقرأ كتبك

سوبريا — انى عالم بين الجهلاء. لقد اطرحت ورائى كل الكتب والابحاث . اهدنى يا اميرتى ، وأنا سوف اتبعك ، كما يتبع الظل ضوء المصباح.

مالينى — ولكن أيها البرهمى . عند ماتوجه لى سؤالا ، أفقد كل قواى ولا أدرى كيف أجيبك ! انى لا عجب اذ أراك ، أنت يامن عرف كل شىء ، تأتى الى حاملا اسئلتك .

سوبريا — ليس من أجل المعرفة والعلم أحضر اليك . فلأنس كل ماعرفت وعلمت . ان الطرق كثيرة لا عداد لها ، ولكن النور مفقود

مالينى —وأسفاه . ياسيدى. كلما ألححت علىَّ في السؤال ، زدت شعوراً بفقرى أين ذلك الصوت الذى حل فى ، منقضاً من السماء ، كالبرق الخاطف واستقر فى قلبى ؟ لماذا لم تأت فى ذلك اليوم،وظللت بعيداً غارقاً فى بحار الشك؟أما وقدعركت الدنيا وجهاً لوجه فان قلبى قد أصبح جامداً . وانى لا أعرف الآن كيف أقبض على دفة تلك السفينة الكبيرة التى أنا ملزمة بأن أهديها السبيل . أشعر بأنى فريدة وحيدة والدنيا كبيرة واسعة الرحاب ، والطرق كثيرة مشعبة ، والضوء الذى ينبعث من السماء لا يلبث أن ينير حتى يختفى ثانية . أنت يا من خص بالحكمة والعلم . هل لك أن تساعدنى وتأخذ بيدى ؟

سوبريا — انى لأعد نفسى سعيداً حسن الحظ ، لو انك تطلبين مساعدتى

مالينى — هنالك أوقات يتسلط فيها الوهم على كل تيارات الحياة فيعرقلها ويتركها مضطربة . وعلى حين غفلة ، ترتد عيناى ، وأنا بين جماهير الناس الى نفسى ، فأشعر بخوف وفرق كبير . فهل لك أن تمحضنى صداقتك فى هذه اللحظات السوداء وأن تسمعنى كلمة واحدة يمتد بها أملى وتردنى الى الحياة ؟

سوبريا — سأعمل على أن أكون متهيئاً لهذا . سأحتفظ بسذاجة قلبى وبراءته ، وسأعمل على أن يكون عقلى فى سلام ، لكي أستطيع أن أقوم بخدمتك

(يدخل خادم)

الخادم — لقد حضر أفراد الرعية يطلبون مرآك

مالينى — لا أستطيع اليوم . اعتذر اليهم عنى . يجب أن يتركوا لى من

الوقت ما يكفي لأملأ فيه فراغ عقلي ، ولاسترد بإراحة فيه نشاط جسمي

(يخرج الخادم)

خبرني الآن ثانية عن كيمنكر صديقك. اني لأرغب في أن أعرف كيف كانت حياتك ، وكيف كانت تجاريبك فيها .

سوبريا — ان كيمنكر لصديقي وأخي وأستاذي . كان قوى العقل ثابته منذ أحدث أيامة . بينما كانت أفكاري مدخولة بالشك ، مهزوزة بالريب دائماً. ومع هذا فقد احتفظ بي قريباً من قلبه ، كما يحتفظ القمر بنقعه السوداء . غير أن السفينة مهما كانت صلبة قوية ، فان خرقاً صغيراً في قاعها ، كاف لأن يغرقها. أما اذا جعلتك تغرق الآن يا كيمنكر ، فان ذلك يكون وفق قانون الطبيعة !!!

ماليني — جعلته يغرق ؟

سوبريا — نعم . فعلت . في ذلك اليوم الذي ارتدت فيه الثورة تعلوها حمرة الخجل أمام الضوء الذي انبعث من وجهك ، وتلك الموسيقى التي تشبع بها الهواء فمست منك الصميم ، ظل كيمنكر جامداً غير ممسوس بشيء وتركني وراءه قائلا : ان الواجب يدعوه للرحلة الى بلاد أجنبية ليجهز فيها جيشا يزحف به على هذه البلاد ليقتلع جذور المعتقد الجديد من أرض قاشي Kashi المقدسة وهل تعلمين ماذا فعلت بي بعد ذلك ؟ لقد جعلتني أعيش في أرض جديدة وحياة جديدة .

« الحب لكل ما في الحياة » كانت مجرد كلمات ، ظلت تتنقل في منازل العصور ليتحقق وجودها في هذا الزمان ! ورأيت أن الحقيقة قد استحالت لحماً ودماً ممثلة فيك . واشد ما تفطر قلبي على صديقي شفقة وحنواً . ولكنه كان بعيداً عن أن تصل اليه يدي — وبعد ذلك وصل خطابه الذي يعلمني فيه بانه قادم ومن ورائه جيش أجنبي ، ليغسل بالدم آثار المعتقد الجديد ، وليعاقبك بالموت . فلم استطع الانتظار ، واطلعت الملك على الخطاب .

ماليني — لماذا نسيت نفسك ياسوبريا ؟ لماذا يتغلب عليك الخوف ؟ أليس في بيتي مكان يسعه ويسع جيشه ؟

*

* *

(يدخل الملك)

تعالى بين ذراعى ياسوبريا . لقد ذهبت في الوقت المناسب لا خذ كيمنكر على غرة ولأقبض عليه . ولو توانيت ساعة واحدة لانقضت الصاعقة على بيتى وأنا أجول مع الاحلام . أنت صديقى ياسوبريا . تعالى الى !

سوبريا — ليغفر لى الله .

الملك — ألا تعلم أن حب الملك شيء غير مادى ؟ انى لأهيب بك أن تسألنى أية مكافأة تجول بخاطرك . خبرنى ماذا تطلب ؟

سوبريا — لا شيء . مولاى . لا شيء . سأعيش سائلا استجدى على الابواب

الملك — اسألنى . وأنا أعطيك أقاليم يطمع فيها الملوك

سوبريا — إنها لاتستغوينى

الملك — انى أفهم ما تريد . إنى أعلم الى أى قمر ترفع بالضراعة يديك . أيها الفتى المجنون . تشجع واسألنى حتى ذلك الشيء الذى يخيل اليك أن اجابتك اليه مستحيلة . لماذا أنت صامت ؟ أتذكر ذلك اليوم الذى صليت فيه لنفى ابنتى مالينى ؟ هل لك أن تعيد هذه الصلاة على سمعى ، لتقود ابنتى الى المنفى من بيت أبيها ؟ يابنيتى ! ألا تعرفين انك مدينة بحياتك لهذا الشاب النبيل ؟ وهل من الصعب عليك أن تردى هذا الدين وتؤديه ب . . . ؟

سوبريا — ارحمنى يا مولاى . ولا تزد من هذا . هنالك عباد زاهدون استطاعوا بالانقطاع الى حياة التعبد والزهد أن يصلوا الى أقصى غاياتهم . وفي اليوم الذى أكون فى عدادهم اصبح سعيداً . ولكن لا أقبلها من يد ملك جزاء الخيانة وخلف العهود . أيتها السيدة لك سلام العظمة وكوثرها الفائض . انك لاتعرفين سر القلب الذى أمضه الفقر وأدقعته الخصاصة . انى لا أستطيع أن أسألك ذرة واحدة أزيد من أن يفيض بشيء من رأفة ذلك الحب الذى تحمليه بين جوانحك لكل مخلوقات الدنيا .

مالينى — يا أبتاه . ما ذا فرضت من عقاب على الأسير

الملك — سيموت

مالينى — انى أطلب عفوك جاثية على ركبتى .

الملك — ولـكنه ثائر يا ابنتى

سوبريا — أتصدر عليه حكماً أيها الملك ؟ انه قد أصدر عليك حكما عند ما أتى ليعاقبك ، لا ليغتصب ملـكك !!!

مالينى — هبه حياة الأسير يا أبى . فعند ذلك يكون لك الحق فى أن تمحضه صداقتك ، وقد نجاك من خطر داهم ، وفناء محيط

الملك — ماذا تقول ياسوبريا ؟ هل لى أن أعيد صديقاً الى أحضان صديقه

سوبريا — ان هذا عمل في عظمته ونبالته جدير بالملوك .

الملك — سيقع هذا فى حينه ، وستعثر على صديقك ثانيـة . ولـكن كرم الملك لا يجب أن يقصر على هـذا . لابد لى من أن أعطيك شيئاً يفوق آمالك وأحلامك . ولـكن لا كمكافأة ! لقد استأثرت بقلبى ، وهو على استعداد لكي يهبك أخص كنوزه .

يا ابنتى . أين اختبأ ذلك الخجل الذى كان يتولاك من قبـل ؟ أن فجرك الجديد لا يصطبغ بلون الورد الاحمر . ان أضواءه بيضاء أخاذة . أما اليوم فضباب مملوء بالدموع شفقة على العيون الفانية يغشاه .

-الى سوبريا-

اترك قدمىَّ . قف . تعال الى قلبى . فان السعادة تضغطه ضغطاً يألم له . اتركنى برهة . أريد أن أنفرد بمالينى .

- يذهب سوبريا -

أشعر بأنى قد عثرت على ابنتى مرة ثانية . لا النجمة المضيئة فى السماء ، بل الزهرة الجذابة التى تزهر في تراب الارض . أنها ابنتى . حبة قلبى .

- يدخل خادم -

الخادم — ان الاسير كيمنكر على الباب .

الملك — احضره الى هنـا ! هاهو قادم ثابت النظرات ، مرفوع الرأس بالـكبرياء ، وعلى جبهته آثار تدل على التأمل العميق ، كسحابة ساكنة فيها رعد ومطر ، من ورائها عاصفة نائمة .

مالينى — ان أصفاد الحديد لتخجل من نفسها اذ هى تمس هذه الاطراف.
ن اهانة العظمة لعظيمة • انه يلوح كأنه يحاول التخلص من أصفاده •

– يدخل كيمنكر فى الاصفاد –

الملك — أى عقاب تنتظر أن ينصب عليك من يدى ؟

كيمنكر — الموت !!

الملك — ولكن اذا دعوت عنك ؟

كيمنكر — اذن فانه تتاح لى الفرصة التى أتم فيها مابدأت من عمل •

الملك — الظاهر أنه كاره لحياته • خبرنى عن رغبتك الاخيرة ، اذا كان لك رغبة فى الحياة بعد •

كيمنكر — أريد أن أرى صديقى سوبريا قبل أن أموت •

– الملك للخادم –

مر سوبريا بالحضور •

مالينى — ان فى هذا الوجه لقوة تخيفنى • ياأبى • لاتسمح بحضور سوبريا •

الملك — ان مخاوفك لا أساس لها ياابنتى •

يدخل سوبريا فيمما شطر كيمنكر مادا يديه •

كيمنكر — كلا • كلا . لم يأت وقت هذا . لنتكلم أولا . ثم لنحيي بعضنا تحية الحب . ادن منى . انك تعرف أنى لست فصيحا ، و دقائقى معدودة . لقد نتهت محا كمتى . أما أنت فتنتظرها . والآن خبرنى لماذا فعلت هذا ؟

سوبريا — أيها الصديق . انك سوف لاتفهمنى • كان من الواجب على ن أثبت على معتقدى ولو كان فى ذلك الموت •

كيمنكر — انى افهم ما تقول ياسوبريا . لقد رأيت وجه هذه الفتاة يتهلل بشعاع باطنى ، كصوت يتحرك فى الهواء ولكن تراه الأبصار • من أجل تلك النيران التى بعثت بها هذه العيون بدلت يقينك فى عقيدة آبائك ، وأقمت عقيدة خرى على قواعد الخيانة .

سوبريا — انك على حق أيها الصديق . ان يقينى قد كمل عندى ممثلا فى صورة هذه الفتاة . ان كتبكم المقدسة قد ظلت عندى صماء بكماء . أما من

طريق هذا الشعاع اللامع الذى تبعثه هاتان العينان فقد قرأت كتاب الخليقة القديم، حيث يكون الانسان وحيث يكون الحب . لقد هبط هذا الوحي من الام في عزلتها وحين أخذتها بالتعبد ، واليها يرجع ثانية . هبط على هذه الفتاة ومنها يعود . هبط عطاء من جواد جم العطاء ، ليحل في القلب الذى يسعه . لقد قبلت قيود هذا اليقين الذى يظهر حقيقة اللانهاية في الانسان ، لاول ماوقع نظرى على هذا الوجه المملوء ضياء وحبا وسلاما من حكمة مخبوءة .

كيمنكر — وكذلك انا . نظرت مرة فى هذا الوجه ، وخلال لحظة واحدة خيل الىَّ أن الدين الحقيقى قد هبط علينا وحيه في آخر الزمان متجسما فى صورة امرأة ليدل قلب الانسان على ملكوت السماوات . وخلال لحظة تحركت فى قلبي الاصوات الموسيقية خارجة من بين ضلوعى ، وأزهرت كل آمال حياتى من كامل نضرتها . ولكن ألم ترأنى قد فككت قيود هذه الأوهام واقتحمت أسوارها لأذهب تائهاً فى الأرض الفضاء ؟ ألم أحتمل عناء الاهانة والاحتقار فى أيد خاطئة سافلة بصبر وأناة ، وتحملت ألم فراقك ، أنت يامن كان لى صديقاً منذ حداثتى ؟ وماذا كنت تفعل أثناء كل هذا ؟ جلست في ظلال الاشجار المفروشة فى حديقة الملك ومضيت ساعات فراغك تغزل خيوطاً من الكذب والبهتان لترضى نزعة أوهامك ، ثم ادعو جماع هذا من بعد ذلك ديناً .

سوبريا — ياصديقى . أليس في جنبات الدنيا مايكفى من السعة لتعضد رجالا اختلفت طبائعهم وتباينت أمزجتهم ؟ أترى هل تتقابل نجوم هذه السماء التى لاعداد لها ليسود منها نجم واحد ؟ أليس من الممكن لصور اليقين أن يشع كل منها بشاعة في سلام لترضى كل صورة منها عقولا تحتاج اليها ؟

كيمنكر — هذه كلمات . مجرد كلمات . انك لن تستطيع أن تجعل الخطأ والحقيقة يعيشان جنباً لجنب في سلام ؛ لان لانهاية هذه الدنيا لاجرم تضيق رحابها . ولا أن تضع بذور الاشواك محل القمح الذى يغذى الانسان ، لأن رحاب الحب تضيق ولو بلغ منتهاه . ولا أن تجعل الانسان فى حل من أن يلغم قواعد الصداقة بخيانة تلك الثقة التى تقتضيها الصداقة ذاتها ، لأن التسامح

لا يتسع لهذا اتساع الخيانة له . ولا أن يموت شخص موت اللصوص ، في حين أن الذي خان ثقته ونقض عهده يعيش ناعماً من خلال الشرف والثروة — كلا كلا . ان الدنيا لم يعد قلبها من الصخر ، لتحمل كل هذه المتناقضات في صدرها

سويريا — لماليني —

انى أقبل كل هذه الاهانات والشتائم بالاصالة عنك ياسيدتى . انك دائماً تبذل حياتك في سبيل معتقدك يا كيمنكر . أما أنا فأبذل ماهو أعز من هذا . انى انما أبذل صداقتك التى هي أعز من حياتى .

كيمنكر — لاتزد من هـذه السخافات . يجب أن نجس كل الحقائق في محكمة الموت . هل تتذكر ياصديقي أيام تلمذتك عنـد ما كنا نمضى كل الليـل متخاصمين ، ثم نذهب أخيراً الى أستاذنا في الصباح لنعرف فى لحظة واحـدة أينـا كان على حق ؟ اذن فلنذهب الى أرض النهاية ونقف أمام الموت بكل مالدينا من معضلات ومسائل ، حيث تنتفى هنالك الشكوك وتنزاح الحجب في ردة نفس واحدة ، ولتظهر لنا قمم الجبال الخالدة حيث تستوى الحقيقة ، وهنالك ينظر كل منها الى جهالة أخيه فيبتسم ضاحكا . أيها الصديق العزيز . استجمع قبل الموت كل ماتظن أنه غال عليك وخالد :

سويريا — ليكن ماتشاء ، أيها الصديق .

كيمنكر — اذن تعال الى قلبي ثانية . لقد تهت بعيداً عن رفيق صباك ، ومضيت شوطاً فى طريق بلانهاية . والآن أيها الصديق . تعال الىّ واخلد معى وتقبل ممن يحبك عطية الموت .

— ثم يضرب سويريا باصفاده فيسقط ميتا —

— كيمنكر يضم جثة سويريا الهامدة —

كيمنكر — والآن أدع من ينفذ حكمك أيها الملك .

الملك قائما

— أين سيفى .

مالينى — أعف عن كيمنكر ياأبى . اعف عنه !!!

كتب أنجز طبعها

نزعة الفكر الأوروبي

في القرن التاسع عشر

ثمنه خمسة قروش مصرية

فى ٩٠ صفحة من القطع الكبير

نهضة فرنسا العلمية

ثمنة خمسة قروش مصرية

فى ٦٠ صفحة من القطع الكبير

الاشتراكية

تفوق ارتقاء النوع الانسانى

ثمنه ثلاثة قروش مصرية

فى ٦٠ صفحة من القطع المتوسط

يضاف على ذلك أجرة البريد فارسال من طلبها تصلك برجوع البريد

دار العصور للطبع والنشر بمصر

شارع اسماعيل الفلكي رقم ٧ بالظاهر

شرعت دار العصور للطبع والنشر في طبع مجموعة من الكتب القيمة التي لا يستغني عنها قارىء في أنحاء الشرق العربي وستظهر هذه الكتب متوالية بحيث لا يمر شهر من غير أن تصدر الدار كتاباً له قيمة من عالم العلم والأدب . وهذه أسماء الكتب المقدمة للطبع بقلم اسماعيل مظهر صاحب مجلة العصور ومحررها

١ — أصل الانواع — لداروين في خمسة مجلدات

٢ — تاريخ الفكر الاوروبي في القرن التاسع عشر — لمرتز ثمانية أجزء

٣ — بين الدين والعلم : أو تاريخ تنازع البقاء بين اللاهوت والعلم في العصور الوسطى — لديكسون وايت — اربعة مجلدات

٤ — معضلات المدنية الحديثة ومقالات أخرى

٥ — الضحية وابحاث وروايات أخرى لطاغور الشاعر الهندى المعروف

(ويظهر فى آخر شهر ابريل سنة ١٩٢٨)

٦ — بنديكت سيبنوزا — حياته وفلسفته — ويظهر في منتصف مايو المقبل

---

٧ — العقائد — بحث في العقائد الدينية الشائعة — عمر عنايت

٨ — رجال الثورة الفكرية (سلسلة تراجم وسير) — عمر عنايت يعاونه فيها نخبة من الكتاب والباحثين

٩ — العظماء — تأليف بلوتارك وهو من أمتع الكتب التي خلفتها للعالم الآداب القديمة — ترجمة ميخائيل بشاره داود

أصل الأنواع

(ونشوئها بالانتخاب الطبيعي وحفظ الصفوف الغالبة)

(في التناحر على البقاء)

تأليف العلامة معلم القرن التاسع عشر

شارلز روبرت داروين

ونقله الى العربية

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

العُصُور

AL-AUSOUR—A Critical Monthly

مجلة انتقادية فى الأدب والعلم والسياسة

محررها وصاحب امتيازها

اسماعيل مظهر

شعارها — حرر فكرك من كل التقاليد والاساطير الموروثة حتى لا تجد صعوبة ما في رفض رأى من الآراء، أو مذهب من المذاهب اطمأنت اليه نفسك وسكن اليه عقلك، اذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه

أغراضها — نشر العلم والمعرفة وتحرير العقل من آثار الماضى التى لا تتفق ونزعة العصر الحاضر

اعدادها — اثنى عشر عدداً في السنة كل منها فى **١٢٨** صفحة فيكون عدد صفحاتها ١٥٣٦ في السنة، كل صفحة منها جديرة باعجابك وتأملك الطويل

— — —

اشتراكها — **٦٠** في السنة و**٣٠** لنصف سنة و**١٥** لربع سنة وفى الخارج **١٥** شلنا انجليزيا أو أربعة ريالات أمريكية أو ما يوازى هذه القيمة بالعملة المصرية في بقية الجهات التى ترسل اليها. وللطلبة والمدرسين امتياز خاص اذا خابروا الادارة رأساً

ادارتها — بشارع السكاكيني رقم **٣٠** بمصر

فبادر بالاشتراك للمدة التى ترغب فيها يصلك في أول كل شهر عدداً منها يمتاز بدقة مباحثه ويأخذ بيدك الى عالم جديد من الفكر الحديث

أصل الانواع

﴿ ونشوئها بالانتخاب الطبيعي وحفظ الصفوف الغالبة ﴾

(فى التناحر على البقاء)

تأليف العلامة معلم القرن التاسع عشر

شارلز روبرت داروين

ونقله الى العربية

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

ستشرع دار العصور للطبع والنشر فى طبع هذا الكتاب واقعاً فى خمسة مجلدات ضخام . وتسهيلا لاقتناء هذا الكنز الثمين ستجعل توزيعه بطريقة الاشتراك بحيث يجعل ثمنه قبل الانتهاء من طبعه بقيمة توفر على المشترك عشرين فى المائة على الاقل من ثمنه الاصلى وسيعلن قريبا عن ذلك وعمن تقبل لديه الاشتراكات من أصحاب المكتب الكبرى بمصر فارتقب ذلك لتفوز بهذه الفرصة السانحة

العصور

AL-AUSOUR—A Critical Monthly

مجلة انتقادية فى الأدب والعلم والسياسة

محررها وصاحب امتيازها

اسماعيل مظهر

شعارها — حرر فكرك من كل التقاليد والاساطير الموروثة حتى لا تجد صعوبة ما في رفض رأى من الآراء، أو مذهب من المذاهب اطمأنت اليه نفسك وسكن اليه عقلك، اذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه

أغراضها — نشر العلم والمعرفة وتحرير العقل من آثار الماضى التى لا تتفق ونزعة العصر الحاضر

اعدادها — اثنى عشر عدداً في السنة كل منها فى ١٢٨ صفحة فيكون عدد صفحاتها ١٥٣٦ في السنة، كل صفحة منها جديرة باعجابك وتأملك الطويل

ـــــ ـــــ ـــــ

اشتراكها — ٦٠ في السنة و٣٠ لنصف سنة و١٥ لربع سنة وفى الخارج ١٥ شلنا انجليزيا أو أربعة ريالات أمريكية أو ما يوازى هذه القيمة بالعملة المصرية في بقية الجهات التى ترسل اليها. وللطلبة والمدرسين امتياز خاص اذا ... الادارة رأساً

ادارتها — بشارع السكاكينى رقم ٣٠ بمصر

فبادر بالاشتراك للمدة التى ترغب فيها يصلك في أول ... عدداً منها يمتاز بدقة مباحثه ويأخذ بيدك الى ... من الفكر الحديث